الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria

Ministry of Higher Education
And Scientific Research
University Abdelhamid Ibn Badis
Mostaganem
Faculty of Arabic Literature And Arts

وزارة التعليم العالي
والبحث العلمي
جامعة عبد الحميد بن باديس
مستغانم
كلية الأدب العربي و الفنون

قسم الدراسات اللغوية والأدبية

رخصة إيداع النسخة النهائية لمذكرة الماستر

أنا الممضي(ة) أسفله الأستاذ(ة): بوسرطب

الرتبة العلمية: أستاذ محاضر أ

بصفتي مشرفًا(ة) على مذكرة الماستر الخاصة بالطالب(ة):

الاسم واللقب: إكرام برحمون

التخصص: أدب مقارن عالمي

السنة الجامعية: 2025/2026

والموسومة: "تعطيل الاتجاه الفني في التاريخ في الأدب المقارن مقاربة في فاعلية الترجمة والكتب والنسيان"

أشهد أن الطالب(ة) قد أتم(ت) إنجاز المذكرة وفق التوجهات العلمية والمنهجية المطلوبة، وبعد مناقشتها والأخذ بعين الاعتبار ملاحظات لجنة المناقشة وتصحيحها، أرخّص له(ا) بإيداع النسخة النهائية للمذكرة لدى مكتبة الكلية.

مستغانم في: 2026/06/28

إمضاء الأستاذ المشرف

بوسرطب

مصادقة رئيس القسم

أ.د غسول شهرزاد
رئيس
قسم الدراسات اللغوية والأدبية

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم

كلية الأدب العربي والفنون

مذكرة مكملة لمتطلبات نيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب مقارن وعالمي

تمظهرات الاتجاه القومي التاريخي في الأدب المقارن:
مقاربة في فاعلية الترجمة والكتب والسير

إعداد الطالبة:

برحمون إكرام

إشراف الأستاذ :

بوقرط الطيب

السنة الجامعية: 2025 /2026م

استمارة إيداع مذكرة الماستر (قسم الدراسات اللغوية و الأدبية)

تخصص: أدب معاصر و عالمي

السنة الجامعية 2025 ••• 2026

إطار خاص بالطالب(ة)

الاسم :	إكرام
اللقب :	برحمون
تاريخ و مكان الميلاد :	2002/06/04 بـ: عشعاشة
رقم الهاتف :	05-56-25-56-45
البريد الإلكتروني :	ikrameberrahmoun029@gmail.com

عنوان المذكرة: تمظهرات الاتجاه النوعي التاريخي في الأدب المقارن مقاربة في فاعلية الترجمة والكتب والسير

إطار خاص بالأستاذ(ة) المشرف(ة) على المذكرة

اسم و لقب الأستاذ (ة) المشرف(ة) على المذكرة	
رتبة الأستاذ(ة) المشرف(ة)	
إمضاء الأستاذ(ة) المشرف(ة)	

إمضاء رئيس قسم الدراسات اللغوية و الأدبية

أ.د غول محمد زاد

رئيس

قسم الدراسات اللغوية والأدبية

Scanné avec CamScanner

نموذج التصريح الشرفي
الخاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث

(ملحق القرار رقم 1082 المؤرخ في 27 ديسمبر 2020 الذي يحدد القواعد المتعلقة بالوقاية من السرقة العلمية ومكافحتها)

أنا الممضي أسفله،

السيد (ة) ....بن حمودة ذكرام..... ، الصفة: طالب

الحامل (ة) لبطاقة التعريف الوطنية رقم 104536848 الصادرة عن

خنورة - مستغانم بتاريخ 2023-03-31.

المسجل (ة) بكلية الأدب العربي و الفنون قسم الدراسات اللغوية والأدبية

والمكلف بإنجاز أعمال بحث (مذكرة التخرج (ماستر))

عنوانها ....تمظهرات الاتجاه القومي التاريخي في الأدب المقارن.. مقاربة في فاعلية الترجمة والكتب والسير

أصرح بشرفي أني ألتزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة الأكاديمية المطلوبة في انجاز البحث المذكور أعلاه.

التاريخ: 2024-06-17

توقيع المعني (ة)

ذكرام

Scanné avec CamScanner

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم
كلية الأدب العربي والفنون

مذكرة مكملة لمتطلبات نيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب مقارن وعالمي

تمظهرات الاتجاه القومي التاريخي في الأدب المقارن:
مقاربة في فاعلية الترجمة والكتب والسير

إعداد الطالبة:
برحمون إكرام

إشراف الأستاذ :
بوقرط الطيب

السنة الجامعية: 2025 /2026م

قال تعالى

وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ

سورة هود الآية 88

شكر وتقدير

في البداية، أتوجه بخالص الشكر والحمد لله عز وجل الذي وفقني وأعانني على إنجاز هذا العمل، وأمدني بالصبر والإرادة لتجاوز الصعوبات التي واجهتني خلال مسار البحث، فله الحمد والشكر على نعمه التي لا تُعد ولا تُحصى.

كما أتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى أستاذي المشرف د.بوقرط طيب، التي لم يبخل عليّ بتوجيهاته العلمية القيّمة ونصائحه الدقيقة طيلة فترة إعداد هذا البحث، فكان نعم الموجه والمرشد الذب ساعدني على تصويب الأفكار وتنظيمها، وإثراء هذا العمل بما يلزم من ملاحظات وإضافات علمية ساهمت في تحسينه وإخراجه في صورة أكاديمية لائقة.

فإليه أرفع أسمى عبارات الاحترام والتقدير، سائلة الله أن يجزيه خير الجزاء، وأن يبارك في علمه وعمله، وأن يجعل ما قدمه لي في ميزان حسناته.

كما أتقدم بالشكر إلى لجنة المناقشة على تخصيصهم من وقتهم لقراءة المذكرة ومناقشتها.

إهداء

إلى منارة العلم الإمام المصطفى، إلى الأمي الذي علم المتعلمين، إلى سيد الخلق رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم.

إلى الينبوع الذي لا يمل العطاء إلى من علمني الصبر والتضحية والوفاء الذي لم يبخل بشيء، إلى من أحمل اسمه بكل افتخار، إلى من علمني العطاء دون انتظار، أبي الغالي

إلى مالكي في الحياة، معنى الحب والحنان بسمة الحياة وسر الوجود، إلى صاحبة القلب الطيب والنوايا الصادقة، أمي السراج الحاني التي أنارت دربي غمرتني بالدفء، نور عيني لم تتركني بكل مشوار حياتي ولم تبخل علي بالدعوة في كل سجدة، أمي الحبيبة

تقبلهم يا رب قبول الصالحين، واجعلهم المبشرين بالجنة

إلى من قاسموني رحم أمي أخواني وأخواتي

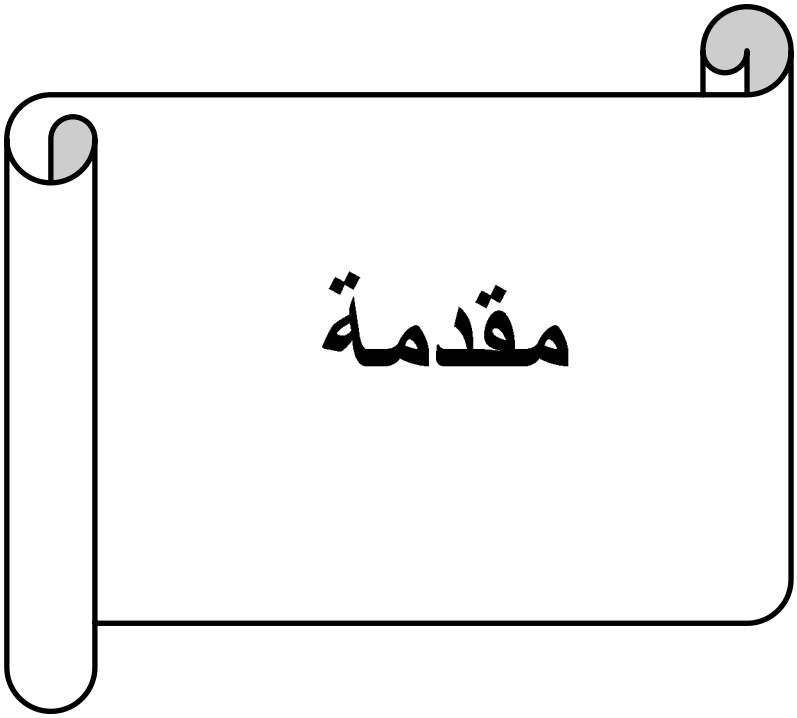
مقدمة

مقدمة:

يعد الأدب المقارن من الحقول المعرفية التي اهتمت بدراسة العلاقات المتبادلة بين الآداب المختلفة، والكشف عن مظاهر التأثير والتأثر بينها عبر الأزمنة والثقافات المتعددة، وقد شهد هذا التخصص تطورات منهجية عديدة أسهمت في تنوع مقارباته واتجاهاته النقدية، ومن أبرز هذه الاتجاهات الاتجاه القومي التاريخي الذي ركز على دراسة النتاج الأدبي في ارتباطه بالبيئة القومية والسياقات التاريخية التي أسهمت في تشكيله، حيث ينظر إلى الأدب بوصفه تعبيرا عن روح الأمة ومرآة لخصوصيتها الحضارية والثقافية.

وقد ارتبط هذا الاتجاه بجملة من الوسائط المعرفية التي ساهمت في نقل الأفكار والآداب وتوثيقها وحفظها عبر العصور، وفي مقدمتها الترجمة التي شكلت جسرا للتواصل بين الأمم والشعوب، والكتب المرجعية التي أسهمت في بناء الذاكرة الأدبية وتوجيه الدراسات المقارنة، إضافة إلى السير الذاتية والغيرية التي قدمت معطيات تاريخية وثقافية تساعد على فهم النصوص الأدبية في سياقاتها المختلفة، ومن هذا المنطلق تأتي هذه الدراسة الموسومة بـ: "**تمظهرات الاتجاه القومي التاريخي في الأدب المقارن: مقاربة في فاعلية الترجمة والكتب والسير**"، والتي تسعى إلى إبراز الدور الذي أدته هذه الوسائط في تجسيد مبادئ الاتجاه القومي التاريخي وتفعيل حضوره داخل الدراسات الأدبية المقارنة.

وتنبع أهمية الموضوع من كونه يجمع بين البعد التاريخي والبعد المقارن، ويكشف عن الوسائل التي ساهمت في تشكيل الوعي الأدبي وتوجيه الدراسات النقدية عبر مختلف المراحل التاريخية، كما يسلط الضوء على أهمية الترجمة والكتب المرجعية والسير في بناء المعرفة الأدبية وتفسير العلاقات بين الآداب العالمية.

وانطلاقا من ذلك يمكن طرح **الإشكالية** الآتية:

كيف تجلت تمظهرات الاتجاه القومي التاريخي في الأدب المقارن من خلال فاعلية الترجمة والكتب المرجعية والسير الذاتية والغيرية في بناء الرؤية التاريخية للأدب وتوجيه الدراسات المقارنة؟

وللإجابة عن هذه الإشكالية اعتمدت الدراسة على المنهج التاريخي لما يتيحه من تتبع لتطور الظواهر الأدبية في سياقاتها الزمنية، كما استعانت بالمنهج المقارن للكشف عن أوجه التشابه والاختلاف بين النماذج الأدبية والثقافية محل الدراسة، فضلا عن المنهج التحليلي في تفسير المعطيات واستخلاص النتائج.

أما هيكل الدراسة فقد جاء موزعا على مدخل كان بمثابة فرش نظري تلته ثلاثة فصول مترابطة؛ حيث خصص **الفصل الأول** لدراسة الترجمة كوسيط تاريخي، من خلال تناول دور الترجمة في نقل التجارب الأدبية التاريخية، وأمثلة لترجمات أسهمت في تشكيل الاتجاه القومي، ثم الوقوف عند إشكالية الترجمة بين الأمانة التاريخية والتأويل الثقافي. أما **الفصل الثاني** فقد تناول الكتب المرجعية ودورها في بناء الذاكرة الأدبية، من خلال إبراز مساهمة الكتب النقدية والتاريخية في ترسيخ الاتجاه القومي، ودراسة نماذج من أعمال طه حسين وغوستاف لانسون وإدوارد سعيد، ثم بيان أثر هذه الكتب في تشكيل المقارنات الأدبية عبر العصور. في حين خصص **الفصل الثالث** لدراسة السير الذاتية والغيرية بوصفها مرآة تاريخية، وذلك عبر تحليل السير باعتبارها وثائق أدبية مضيئة للسياقات التاريخية، وإجراء مقارنة بين بعض النماذج العربية والغربية، وبيان دور السيرة في فهم البنية التاريخية للنص الأدبي، مع تقديم نماذج تطبيقية تمثلت في دراسة ترجمة الإلياذة إلى العربية، وتحليل كتاب "في الشعر الجاهلي" لطه حسين، ومقارنة سيرة مي زيادة بسيرة فرجينيا وولف.

وفي ختام هذه المقدمة نحمد الله سبحانه وتعالى على توفيقه وعونه في إنجاز هذا العمل، راجين أن يسهم في إغناء البحث العلمي في مجال الأدب المقارن، وأن يكون إضافة متواضعة إلى الدراسات التي تعنى بالعلاقة بين الأدب والتاريخ والهوية الثقافية.

مدخل: نشأة الأدب المقارن

1ــ نشأة الأدب المقارن:

2ــ رواد الأدب المقارن:

3.المدرسة الفرنسية:

مدخل:

توطئة:

يُنظر إلى الأدب المقارن اليوم بوصفه أحد العلوم المستقلة التي لها موضوعها ومنهجها الخاص ، إذ يعنى بدراسة الأعمال الأدبية عبر مختلف انبجاساتها ومقارنتها عبر أطياف من اللغات وكذا الثقافات المتعددة، حيث يستحضر ضمن بوتقته شرطا يتحقق عبر وجود أسرة لغوية واحدة. وقد برز هذا العلم في القرن التاسع عشر مع انشطار جهود المهتمين والرواد ضمن حيز "المدرسة الفرنسية"، حيث اكتسب مكانة بارزة في الوسط الأدبي، ثم تطوّر عبر انتقالات مفهومية وأدبية تدريجيا بفضل إسهامات مدارس أخرى مثل "المدرسة الأمريكية" وكذا "السلافية" و"العربية"، الأمر الذي جعله بحق حقلا معرفيا مترامي الأطراف يعزز ويدعم ويثري الدراسات الأدبية ويكشف عن جملة معادلات الروابط بين الثقافات المختلفة.

1ــ نشأة الأدب المقارن:

يُعدّ الأدب المقارن بوقعه الفكري والمعرفي من جملة المفاهيم الحديثة التي تبلورت لتصبح بنفحاتها علما قائما بذاته ضمن دروب علوم الأدب المعاصر، وجاء بتموقعه أفضل مكانة وأكثر نفعا، إذ سمح للباحثين بحقل الأدب استكشاف الروابط المتعددة بين مختلف الآداب وتشكيل رؤية وفهم وشائح التفاعلات الإنسانية والثقافية والفكرية...وغيرها.

ومن ثمة، فإن "مدلول الأدب المقارن تاريخي، ذلك أنّه يدرس مواطن التلاقي بين الآداب في لغاتها المختلفة وصلاتها الكثيرة المعقدة، في حاضرها أو في ماضيها، وما لهذه الصلات التاريخيّة من تأثير أو تأثر، وبناءٍ على التعريف السابق نلاحظ أنّ تسميته بالأدب المقارن فيها إضمار، إذا كان أولى أن يسمّى "التاريخ المقارن للآداب" أو "تاريخ الأدب المقارن" ولكنّه اشتهر باسم الأدب المقارن، وهي تسمية ناقصة في مدلولها ولكن إيجازها

سهّل تناولها، فغلب عليه تسمية أخرى،...، وللأدب المقارن جوهر لتاريخ الأدب والنقد في معناها الحديث، لأنّه يكشف عن مصادر التيارات الفنيّة والفكريّة للأدب القومي، وكلّ أدب قومي يلتقي حتما في عصور نهضاته بالآداب العالمية، ويتعاون معها في توجيه الوعي الإنساني أو القومي ويكمل وينهض بهذا الالتقاء، ولكل مناهج الأدب المقارن ومجالات بحثه مستقلّة عن مناهج تاريخ الأدب والنقد لأنّه يستلزم ثقافة خاصة بها يستطاع التعمق في مواطن تلاقي العالمية... "[1]

لقد شُغف الإنسان منذ أقدم العصور وتلاحقاتها بآداب الآخر ، حيث كان طيف الحضارة اليونانية ذو دور فعال و ريادي في حقل الفن والفكر ، فكانت أول مدرسة عالمية جسدت طرحا فعالا، وأسست لنهضة الغرب الحديث. ويُعدّ من أقدم مظاهر هذا التفاعل مانلمسه من أوجه تأثير "الأدب اليوناني" ببصمة بينة في عوالم "الأدب الروماني"؛ فعلى الرغم من أن اليونان خسروا عسكريا أمام امبراطورية روما سنة 146 ق.م، إلا أن جمع المنتصرين سرعان ما خضعوا لثقافة المغلوبين، فصاروا تابعين لهم ضمن حيز فكري وأدبيا، وبات الأدب والفلسفة اليونانية المرجع والنبع الأصيل الذي نهل منه جمع كتّاب الرومان ، حيث أقاموا عليه بنيانهم الثقافي.

وفي حقيقة الأمر أنه "طبيعي أن يسبق ظهور الأدب المقارن بوصفه علما، وجود ظواهره المختلفة في الآداب العالميّة أي تحقق التأثير والتأثر بين الآداب...، وأقدم ظاهرة في تأثير أدب في أدب آخر، ما أثّر به الأدب اليوناني في الأدب الروماني، ففي عام 146 ق.م انهزمت اليونان أمام روما ولكنّها ما لبثت أن جعلتها تابعة لها ثقافيا وأدبيا، وكثيرا ما

[1]ــ محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، دار النهضة، مصر، د ــ ط، 1988، ص13 ــ 14.

يردّد مؤرخو الفكر الإنساني أنّ روما مدينة لليونان في فلسفتها وفنّها ونزعتها الإنسانيّة وأبها كلّه."[1]

إن المفارقة الواقعة لافتة في التاريخ؛ فاليونان الذين خسروا أمام روما عسكرياً، استطاعوا أن ينتصروا فكريا وأدبيا ويرفعوا راية الاكتساح، إذ أصبح الأدب اليوناني والفلسفة اليونانية بمثابة المرجع الأساسي للرومان. وهذا يوضح أنّ عوالم وسطوة الثقافة والفكر أكثر رسوخا من القوة العسكرية، وأنّ تأثير الأدب يتجاوز حدود الزمان والمكان ليعيد تشكيل هوية المنتصر نفسه.و"وتبعا لهذه النظرية كان النقاد المؤرخون الرومانيون يقارنون بين هؤلاء الكتاب ونماذجهم من اليونانيين."[2]

ومن هذا المنطلق، لا يسع المتبحر ودارس الأدب أن يغفل في جولاته الفكرية عن استيعاب حمولته ومظاهره المتنوعة، إذ تمثل جوهره الأصيل .ولما كان السعي إلى إحياء الأدب اللاتيني مطلبًا ملحًّا، فقد اتجهوا في خضم جولاتهم وصولاتهم إلى شذرات التراث اليوناني يستمدون منه وشائحا حضارية يغذّون بها ثقافتهم.

لقد "**كان اليونانيون هم المبدعون، وكان مبلغ الرومانيون أن يقلدوا.**"[3] فالإبداع اليوناني شق طريقا قدّم من خلال للعالم أسس التفكير الفلسفي، المنطق، والبحث العلمي، إضافة إلى الأدب والملاحم الكبرى مثل "الإلياذة" و"الأوديسة."

وقد أفرز هذا البعد لدى النقاد اللاتينيين رؤية نقدية كان لها أثر عميق امتد حتى عصر الكلاسيكية، حيث تجسدت في ما عُرف بـــ: **نظرية المحاكاة**. إذ" دعا هواراس "horace" إلى اتباع أمثلة اليونان في كتابه فن الشعر قائلا: اتبعوا أمثلة الإغريق، واعكفوا على دراستها ليلا، واعكفوا على دراستها نهارا وفي هذا اعتراف بأنّ محاكاة اليونانيين في

---

[1] المرجع نفسه، ص23.

[2] ــ محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن ، ص 23

[3] ــ المرجع نفسه، ص 24

أدبهم مثمرة على ألّا تمحو أصالة الشاعر، خطا بعده الناقد الروماني كانيليان خطوات واسعة في شرح هذه النظرية التي كانت ذات أثر بعيد المدى لدى النقاد حتى الكلاسيكية، وسنّ قواعد عامّة."[1]

تكشف هذه الحلقة عن مسار مهم في تاريخ النقد الأدبي عند الرومان. فـ **هوراس** في كتابه فن الشعر فهو في حقيقة الأمر لم يكتفِ بالإشادة بالإبداع اليوناني وحسب، بل دعا إلى ضرورة الاقتداء بهم عبر طرح دراسة مستمرة، ليلًا دؤوبة، وهو مايجسد اعترافا واقعا بأن بوتقة "المحاكاة" ليست مجرد تقليد آلي، بل تغدو وسيلة جد مثمرة لتطوير عالم الأدب المترامي الأطراف مع الحفاظ على أصالة الشاعر.

ومن ثمة، فإن "المحاكاة للكتاب والشعراء مبدأ من مبادئ الفن لا غنى عنهـــ أنّ هذه المحاكاة ليست سهلة بل تتطلب مواهب خاصة في الكاتب الذي يحاكي، ثالثـــا لا تكـــون المحاكاة للكلمات والعبارات بقدر ما هي جوهر لموضوع الأدب المقارن ومنهجه، رابعا على أن من يحاكي اليونانيين أن يختار نماذجه ليميّز الجيد من الرديء، وأن تتوافر له قوة الحكم ليميّز الجيد من الرديء، المحاكاة في ذاتها غير كافية ويجب أن لا تعوق الشاعر وألّا تحول دون أصالته، في ظل نظرية المحاكاة هذه تمّ الأدب الروماني في الازدهار بفضل محاكـــاة الكتاب اللاتينيين اليونان."[2] يبرز هذا عمق نظرية المحاكاة في الفكر النقدي القـــديم، وكيـــف تحولت من مجرد دعوة إلى الاقتداء إلى منهج نقدي متكامل تتعالى فيه أصـــداء المحاكـــاة كركيزة للفن، إذ إن النص يوضح أن تقليد الكتّاب والشعراء ليس خيارًا ثانويًا، بل يعد مبـــدأ أساسي في تكوين شذرات الفن، حيث تُعدّ المحاكاة وسيلة للتعلّم والتطور الأدبي. كمـــا أن صعوبة المحاكاة لا تتأتي من كونها عملية ميكانيكية، بل تتطلب موهبة خاصة وقدرة علـــى النفاذ إلى جوهر النصوص، لا الاكتفاء بسطح الكلمات والعبارات. فجوهر الأدب المقـــارن عبر حلقات المحاكاة هنا تتجاوز الشكل لتصبح منهجًا في دراسة الأدب، حيث يُنظـــر إلـــى

---

[1]ـــ المرجع نفسه، ص25

[2]ـــ محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، ص25

الموضوعات والأفكار لا إلى الألفاظ وحدها. والتمييز بين النماذج فمن يحاكي اليونـــانيين لا بد أن يتحلى بقدرة نقدية تُمكّنه من فرز الجيد عن الرديء، وإلا وقع في التقليد الأعمى .

وفي رحاب العصور الوسطى التي كانت قد امتدّت مابين عام 1395م إلى نحـــو عام 1453م، حيث "سيطرت في العصور الوسطى العقيدة النصرانيّة على الجزء الأكبر من أوروبا الذي تبنّى اللّغة اللاتينيّة في علمه وأدبه، كما أنّها كانت لغة الكنيسة فترتّب على هذا أن تغلغلت روح المسيحيّة في الإنتاج الأدبيّ بواسطة رجال الدين الذين كـــانوا يستنســـخون المخطوطات في أديرتهم ويعلمون وينتجون الأدب شعرا ونثرا، ثم وحدث روح الفروســيّة معظم الآداب الأوروبيّة وطبعتها بميزتها الخاصّة فتجلّى أوّل مظهر من مظـــاهر العالميّـــة الأدب (cosmoplitisme) ولكن ما خلّفته تلك العصور من إنتاج أدبي لم يكن موضـــع دراسة مقارنة قامت بها الطبقات المثقفة في حينه."[1]

يؤكد ماسبق بوضوح كيف أنّ الكنيسة لم تكن مجرد بتموقعهـــا مؤسســـة دينيـــة فحسب، بل كانت أيضًا عبر ترسيماتها مركزًا ثقافيًا ومعرفيًا منـــداحا ، إذ فرضـــت اللغـــة اللاتينية كلغة للعلم والأدب، مما جعل النتاج الأدبي يحمل بين طياته بصمات روحية مسيحية واضحة .كما أنّ دور الذي لعبه رجال الدين في نسخ جملة المخطوطات وتعليمها قد ســـاهم بشكل كبير في حفظ قطوف التراث الأدبي و نقل وشائحه عبر الأجيال.

وفي جانب آخر، أضفت الفروسية بحضورها المهم على الأدب الأوروبي طابعًا مميّزًا وخاصا، حيث امتزجت القيم الدينية بالمثل الأخلاقية والاجتماعية، فأنتجت نصوصًـــا تحمل مزيجًا من المثالية المسيحية وروح الفروسية .هذا التداخل والامتزاج كان من أبـــرز المؤشرات الأولى على النزعة العالمية في الأدب، أو ما يُعرف بـــ: .Cosmopolitisme

[1] ريمون طحان، الأدب المقارن والأدب العام، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1972، ص17 - 18

لقد شكّل انتقال أوروبا من أجواء العصور الوسطى إلى أفق عصر النهضة نقطة تحوّل كبرى في تاريخ الفكر والأدب .فبعد أن ظلّت الثقافة الأوروبية لقرون طويلة أسيرة الطابع الديني المسيحي واللغة اللاتينية، بدأت ملامح التغيير تظهر مع انفتاح العقول على التراث القديم، وازدياد الاهتمام بالإنسان وقيمه، وبالعودة إلى منابع الإبداع الأولى في الحضارتين اليونانية والرومانية .هذا التحوّل لم يكن وليد الصدفة، بل ساهم فيه أيضًا دور العرب الذين حفظوا النصوص اليونانية وشرحوها ووجّهوا الأنظار إلى قيمتها، مما مهّد الطريق أمام أوروبا لتعيد اكتشافها وتستلهم منها ثورة فكرية جديدة."ففي عصر النهضة (القرن الخامس عشر والسادس عشر) اتجهت الآداب الأوروبيّة وجهة الآداب القديمة من يونانية ولاتينية، وكان للعرب فضل توجيه الأنظار إلى قيمة النصوص اليونانيّة وترجمتها والتعليق عليها، وكانت الدعوة إلى الرجوع لآداب اليونان والرومان ومحاكاتهما بمثابة ثورة فكريّة في ذلك العمر لأنّها كانت تتضمن الخروج على آداب العصور الوسطى ذات الطابع المسيحي."[1] يعكس هذا بجلاء التحوّل الجذري الذي شهده الفكر والأدب الأوروبي عند الانتقال من العصور الوسطى إلى عصر النهضة.

فهي تبيّن كيف أنّ أوروبا، بعد قرون من هيمنة الطابع الديني المسيحي واللغة اللاتينية، أعادت اكتشاف التراث اليوناني والروماني، لتستلهم منه قيماً جديدة تركّز على الإنسان وإبداعه.

وأهمية هذا التحوّل تكمن في كونه لم يكن مجرد عودة إلى الماضي، بل كان بمثابة ثورة فكرية أعادت صياغة العلاقة بين الأدب والفكر، وفتحت الباب أمام نزعة إنسانية جديدة. كما أنّ الإشارة إلى دور العرب في حفظ النصوص اليونانية وترجمتها وتعليقها تُبرز البعد التفاعلي بين الحضارات، وتؤكد أنّ النهضة الأوروبية لم تكن معزولة عن جهود الأمم الأخرى، بل استفادت من تراكم معرفي عالمي.

---

[1]ـ محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن ، ص25

وفي خضم ذلك فإنه "بديهي أنّ ظهور الأدب المقارن أمر حديث، فلئن عرف الأقدمون ضروب الموازنة بين كتّاب الإغريق واللاتين، وكانت القرون الوسطى مليئة بالاتصالات والتأثيرات المتبادلة بين آداب الغرب المسيحي الناشئة، فإنّ هذه الاتصالات وهي تؤلف اليوم ميدانا واسعا للمختصين للآداب الرومانية والجرمانية التي ظهرت أحداث ملائمة كثيرة كان في الإمكان أن توجد هذا النوع من التقريبات التي تؤدي إلى الآداب المقارن الحقيقي، فقد اتّسع الأفق الأدبيّ، فأضيف إلى تأثير العصور القديمة الكلاسيكيّة وتأثير انجلترا منذ حوالي عام 1730، وتأثير ألمانيا التي اكتشفت فرنسا أدبها حوالي 1770، وكثرت الترجمات وازدادت الصلات الفكريّة توثقا، وأسست الصحف والمجلات في كلّ مكان، وأصبحت فكرة جمهورية الآداب أمرا مألوفا في كثير من الأذهان وغدت العالمية من أهمّ السمات التي يتميّز بها هذا القرن."[1]

وهكذا، فإنّ الأدب المقارن لم يظهر إلا في العصر الحديث، رغم وجود محاولات قديمة للموازنة بين كتابات الإغريق واللاتين، ورغم كثافة تلك الاتصالات الأدبية بشتى ضروبها في العصور الوسطى. الأمر الذي يكشف أنّ ما ميّز حيز القرون اللاحقة هو ذلك الاتساع الخاص بالأفق الأدبي وماتبعه من تزايد التفاعل بين الآداب الأوروبية المختلفة، خاصة مع انفتاح فرنسا على بوتقة الأدب الإنجليزي منذ القرن الثامن عشر، ثم الأدب الألماني في القرن التاسع عشر.

إنّ كثرة الترجمات، وتوثّق الصلات الفكرية، وظهور الصحف والمجلات، كلّها عوامل ساهمت عبر تموقعها التواصلي في تكوين ما يُعرف بـ :"جمهورية الآداب"، وهي فكرة تعبّر عن عالم أدبي مشترك يتجاوز بترسيماته جملة الحدود القومية.

[1]- سعيد علوش، مدارس الأدب المقارن، المركز الثقافي العربي، ط1، 1987، ص70 - 71

وهذا التوجّه نحو العالمية، أو النزعة الكوزموبوليتية، كان لـــه دوره الفعـــال ، جســـد ببصمته أبرز السمات التي ميّزت القرن الثامن عشر وما بعده، ومهّد الطريق لظهور الأدب المقارن كعلم مستقل يدرس العلاقات بين الآداب وحلقات الثقافات المختلفة.

وبذلك يمكن القول إنّ الأدب المقارن لم يكن وليد لحظة واحدة وحسب، وإنمـــا نتيجـــة تراكم طويل وتلاقحات فكرية وجملة من التأثيرات المتبادلة، التي تحوّلت مع الـــزمن إلـــى منهج علمي يهدف إلى فهم الأدب في سياق عالمي شامل.

لقد "كان القرن التاسع عشر في أوروبا عهد تقدم ملحوظ في الناحية الاجتماعيّة وفـــي البحوث العلميّة، وتبع هذا التقدم رغبة قويّة في استصعاب نواحي البحث في العلوم الأدبيّـــة لمختلف الدول وعكف العلماء والكتاب على درس مختلف الظواهر الاجتماعيّـــة والأدبيّـــة، متعمقين في بحوثهم محاولين رجع كل ظاهرة إلى أسبابها، ونشأ عن ذلـــك كلّـــه اتجاهـــان عامان أثرا في نشأة الأدب المقارن وفي نموه عن طريقين مختلفين هما: الحركة الرومانتيكيّة والنهضة العلميّة."[1]

وعليه، فإن القرن التاسع عشر كان مرحلة حاسمة في تطوّر الفكر الأوروبـــي، حيـــث تزامن التقدّم الاجتماعي والعلمي مع تزايد الرغبة في التعمّق في دراسة الظواهر الأدبية عبر مختلف الدول. فقد جسد هذا القرن بيئة خصبة لنشأة **الأدب المقارن**، إذ لم يعد الأدب يُقـــرأ بمعزل عن مختلف السياقات الاجتماعية أو الثقافية، بل صار يُدرس في ضوء المعادلة التي تشكلها العوامل المؤثرة فيه."والأدب المقارن مصطلح ناقص ولكنّه يروي في الوقـــت ذاتـــه ضرورة تاريخ الأدب والاقتصاد السياسي، ولكنّه على العكس مـــن هـــذين لمـــا يســـتوعبه الجمهور استيعابا حقيقيا."[2]

---

[1]ـ محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، ص31

[2]ـ أحمد عبد العزيز، الأدب المقارن، مكتبة الانجلو المصريّة، القاهرة، ط3، 2001، ص29

لقد بدأت البذور والجذور الأولى التي مهدت وساعدت على ظهور الأدب المقارن في العصر الحديث مع نضج الحركة الأدبية والنقدية، فأصبح هذا المجال يُعنى بدراسة الروابط بين الأدب وغيره من ميادين المعرفة والمجالات الثقافية .وهو لا يقتصر على الوصف فحسب، بل يتجاوز ذلك إلى أطر التحليل والمقارنة والتفسير للظواهر اللغوية والثقافية عبر التاريخ، بغية الوصول إلى فهم أعمق وأجدى وأشمل للأدب في سياقاته المتعددة.

2ـ رواد الأدب المقارن:

سنشير في هذا العنصر إلى أبرز روّاد الأدب المقارن الذين كان لهم أثر بالغ في تطوّر هذا الحقل وازدهار الدراسات الأدبيّة، ومن بينهم أعلام أسّسوا لمناهجه ورسّخوا مكانته في البحث الأكاديمي".

أ-غوتهولد إفرايم ليسينغ Gotthold Ephraim Lessing **(1729-1781):**

هو أحد أبرز أدباء وفلاسفة ألمانيا في عصر التنوير، ويُعدّ من روّاد المسرح والنقد الأدبي الحديث، حيث أسهم في تحرير الأدب والفكر من القيود الكنسية والإقطاعية."وكان قد قرأ وبحث على تحول يصدق وقال عنه أحد أساتذته عندما كان تلميذا إنّه جواد شاب...، أرسلته أسرته إلى جامعة ليبزج أن يصبح من رجال الدين."[1] لقد أسهم في تأسيس حركة شتورم أوند درانغ)العاصفة والاندفاع)، التي رفضت القيود الكلاسيكية وأفسحت المجال للتعبير الحر. وكان من أوائل من أدخلوا أعمال شكسبير إلى المسرح الألماني، معتبراً إياها نموذجاً للدراما الحقيقية. كماترك بصمة واضحة في النقد الأدبي والفكر الفلسفي، وأثر على أجيال من الأدباء مثل هردر وغوته.

ب-فولتير (Voltaire)، **واسمه الحقيقي فرانسوا-ماري أرويه** (1694-1778):

[1] الطاهر أحمد مكي، الأدب المقارن أصوله وتطوره ومناهجه، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1987، ص39 - 40

يُعدّ من أعظم مفكّري عصر التنوير الفرنسي وأحد أبرز المدافعين عن الحرية الفكرية وحقوق الإنسان. فهو "أحد هؤلاء العمالقة أيضا وقمة القرن الثـــامن عشـــر، أديـــب وناقـــد وفيلسوف فرنسي لم يتوقف يوما عن السؤال ويتميّز بالفهم الشديد إلى المعرفة، وحدة اللهفة على التمتع بالذات وهما يفسران أيضا احترامه العلم وتطبيقاته العلميّة وكراهية الدين ورجاله وكانت معارضته للمسيحيّة قويّة وتحولت إلى فكرة ملحمة، وقضى ثلاثة أعوام في انجلتـــرا وكثيرا من الرحلات حيث اكتسب من خلالها ثقافة واسعة وروحا إنسانيّة عالية عندما أصدر كتابه "الدراسة في الشعر الملحمي عام 1727م، دعا الشعوب إلى اهتمام بالأعمال الأدبيّـــة وأنماط الحياة عند جيرانهم."[1] لقد أسهم بجهوده في ترسيخ حلقات قيم حقوق الإنسان وأطياف حرية التعبير. كما ألهم مفكّري الثورة الفرنسية وأثر في الدساتير الحديثة.فهو ممـــن تركـــوا بصمة واضحة في الفكر الليبرالي والديمقراطي.

جـــ خوان أندريس: (juan andres) 1740-1817:

هو قسيس يسوعي"إسباني هاجر إلى إيطاليا وفيها أمضى بقية حياته وأصبح أمين مكتبة القصر الملكي وألّف عددا كبيرا من الكتب من بينها: كتابيه "رسالة عن موســـيقى العـــرب" و"أصول الأدب بعامة وتطوراته وحالته الراهنة" فقد كانت دراسته المفصلة خطوة واســـعة نحو أدب مقارن وأنّ"ه دراسة التأثير المتبادل الذي يتجاوز حدود الأدب القومي."[2]

يُعتبر الأب المؤسس للأدب المقارن، حيث جمع بين دراسة الأدب والعلوم والفلسفة في إطار عالمي. أثر في الفكر الأوروبي من خلال دمج التراث الإسباني مع الثقافة الإيطاليـــة. لقد كان جزءًا من المدرسة العالمية الإسبانية إلى جانب لورنزو هيرفاس وأنطونيو إكسيمنو.

دـــ جوثه: (Gotha) 1749-1832:

[1] المرجع نفسه ، ص39 - 40

[2]- الطاهر أحمد مكي، الأدب المقارن أصوله وتطوره ومناهجه، ، ص40

هو" شاعر ورسام وموسيقي وأديب وعالم ألماني وجمعت أعماله فكانت في ثلاثة وأربعين ومائة مجلدا ضخما، ورفض أن يكتب أغاني حربية وكان رده أبدا لن أكتب شيئا لا أحسّ به، كان يهتم بكل ما ينتمي إلى الجنس الإنساني، ما عدا الحرب فهو أساس داعية للسلام وأوّل داعية للأدب العالمي وهو من أشهر الكتّاب في أوروبا على الإطلاق."[1] يُعتبر غوته **رمز الثقافة الألمانية**، حتى أن عصره يُعرف بـ"عصر غوته."و أعماله تُدرّس اليوم في الجامعات حول العالم وتُترجم إلى معظم اللغات. كما أنه جمع بين الأدب والفلسفة والعلوم والسياسة، مما جعله شخصية موسوعية.

ه-جيرمن دي ستال: (Germaine de Staël) 1817- 1766:

لقد "اشتهرت باسم مدام دي ستال وهي ناقدة فرنسية من الأوائل الذين اهتموا بالأدب المقارن، وكانت إنتاجاتها وفيرة في مجال الإبداع والنقد على السواء ومن بين كتاباتها الأدب في علاقاته بالنظم الاجتماعيّة، و "عن الأدب"، و"عن ألمانيا، كانت مدام دي ستال خطوة واسعة تجاوزت الأدب الفرنسي على أيامها في الدرس والتحليل والنقد والتمثيل والموازنة."[2]وتعد أول امرأة أوروبية كبرى في الفكر السياسي والأدبي الحديث. ساهمت في الانتقال من عصر التنوير إلى الرومانسية.وأعمالها لا تزال تُقرأ اليوم كجزء من التراث الأدبي والفلسفي الفرنسي.

و ــ بول فان تيجم: (Paul van Tieghem)1871-1948:

يُعدّ واحدًا من أبرز روّاد المدرسة الفرنسية الحديثة، ومن أهم أساتذة الأدب المقارن في جامعة السوربون .وقد ألّف كتابه المنهجي التعليمي الشهير الأدب المقارن سنة 1931م، الذي تُرجم إلى لغات عديدة، وأصبح علامة فارقة في تاريخ الأدب المقارن الفرنسي، يقول

---

[1]- المرجع نفسه، ص40

[2]الطاهر أحمد مكي، الأدب المقارن أصوله وتطوره ومناهجه، ص40

سعيد علوش: "فان تيجم رائد أوّل كتاب تعليمي حول الأدب المقارن، تنتهي الطريقة الأولى بصاحبها إلى العمل الموسوعي بينما تنتهي الطريقة الثانية بصاحبها إلى العمل المنهجي."[1]

وفي الختام، يمكن القول إنّ الأدب المقارن وُلد مع نشأة الدراسات الأدبية الحديثة في القرن التاسع عشر، حين بدأ الباحثون بمقارنة الآداب المختلفة للكشف عن مواطن التشابه والاختلاف بين الآداب المنتمية إلى أسر لغوية واحدة. وقد ساهم عدد من المفكرين والعلماء في ترسيخ هذا الحقل وتطويره، من بينهم مدام دي ستال وبول فان تيجم وغيرهما من الرواد الذين تركوا بصمة بارزة في مسار الأدب المقارن.

3- مفهوم الأدب المقارن:

تعدّدت وتنوّعت مفاهيم الأدب المقارن من باحث لآخر، فهو من العلوم الحديثة الأدبيّة المبتكرة في العصر الحديث.

إن الأدب المقارن هو فرع من فروع الدراسات الأدبية يهتم بدراسة العلاقات وأوجه التشابه والاختلاف بين الآداب المنتمية إلى لغات وثقافات مختلفة، بهدف الكشف عن مظاهر التأثير والتأثر والتفاعل الحضاري والثقافي بين الشعوب، وإبراز الخصائص المشتركة والمميزة للأعمال الأدبية.[2]

و"هو أدب تاريخي يدرس مواطن التلاقي مبين الآداب في لغاتها المختلفة، وصلاتها الكثيرة المعقدة في حاضرها أو في ماضيها، وما لهذه الصلات التاريخيّة من تأثير وتأثر."[3]

---

[1]- سعيد علوش، مكونات الأدب المقارن في العالم العربي، الشركة العلميّة للكتاب، بيروت - لبنان، ط1، 1987، ص16

[2]سعيد علوش، مكونات الأدب المقارن في العالم العربي، ص 12.

[3] محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، دار النهضة، مصر، ط1، 1991، ص13

"وهو المنهج الذي يبحث في علاقات التشابه والتقارب والتأثير وتقريب الأدب من مجـــالات التعبير والمعرفة الأخرى."[1]

فالأدب المقارن يمكن أن يعرّف أيضا بأنّه "علم يدرس العلاقة بين الآداب التي تنتمي إلى لغات مختلفة سواء كانت هذه الآداب معاصرة أم من عصور، ويدرس التأثير والتأثر بين تلك الآداب على مستويات مختلفة."[2]

4-المدرسة الفرنسيّة في الأدب المقارن:

تُعدّ "المدرسة الفرنسيّة" من أعرق المدارس في مجال الأدب المقارن، إذ بدأت دراسته في فرنسا خلال القرن التاسع عشر، على يد ثلاثة من الباحثين، وكان أول استعمال لمصطلح littérature comparée قد ظهر مع أبيل فيلمان سنة 1891م.

وعرّف "جان ماري كاري" (jaun marry carry) بأنّه "فرع من التّاريخ الأدبيّ لأنّه دراسة العلائق الروحيّة والدوليّة والصلات الواقعيّة."[3]

وتعريف كاري هذا يضع الأدب المقارن في قلب بوتقة التاريخ الأدبي العالمي، ويؤكد أنه علم يتجاوز حدود اللغة الواحدة ليبحث في جملة التأثيرات المتبادلة، وكذا الحوار الثقافي بين الأمم. وهذا ما جعله لاحقًا أساسًا لتطور الأدب المقارن كحقل مستقل في الجامعات الأوروبية.

إلى جانب التّعريف السابق عرّفه أيضا على أنّه : "فرع من تاريخ الأدب يدرس العلاقات الفكريّة الدوليّة والصّلات الواقعيّة التي توجد بين الأشخاص."[4]

---

[1] هنري ياجو، الأدب العام والمقارن، تر: غسّان السيد، اتّحاد كتاب العرب، دمشق، د ط، د ت، ص18

[2] سعيد الوكيل، الأدب المقارن مدخل نظري ونماذج تطبيقيّة، ص09

[3] سعيد علّوش، مدارس الأدب المقارن، ص64

[4] أحمد زلط، الأدب المقارن، نشأته وقضاياه واتجاهاته، ص51

ويذهب "بول فان تيجم" (Van Tieghem) إلى توضيح المقارنة "تعني التقريب بين الوقائع المختلفة ومتباعدة في غالب الأحيان، وذلك رجاء استخلاص القوانين العامّة التي سيطر عليها، أمّا فيما يتصّل بالآثار الأدبيّة، فيخشى أن يظن أنّ المقصود بالمقارنة هو تنضيد المتشابه من الكتب والنماذج والصفحات من مختلف الآداب، لمعرفة وجوه الشبه والاختلاف، لا لغاية أخرى غير إرواء حبّ الاطّلاع وتحقيق الرغبة الفنيّة أو إصدار الحكم التفضيلي ينتهي إلى التصنيف."[1]

ما أورده "بول فان تيجم "يوضح بدقة الفرق بين مفهوم المقارنة الأدبية ومفهوم المقارنة في العلوم الأخرى .حيث إن المقارنة عنده ليست مجرد عملية وضع النصوص جنبًا إلى جنب لمعرفة أوجه التشابه والاختلاف، بل هي أداة منهجية تهدف إلى استخلاص القوانين العامة التي تحكم الظواهر، سواء كانت طبيعية أو أدبية.

والفكرة الأساسية عند فان تيجم أن:

أ-المقارنة العلمية :تقريب بين وقائع متباعدة بغرض الوصول إلى قوانين عامة.

ب-المقارنة الأدبية :ليست مجرد تصنيف أو إشباع فضول، بل يجب أن تكون لها غاية أعمق من مجرد التفضيل أو الترتيب الفني.

وفي موضع آخر يقول "بول فان تيجم": "إنّ الأدب المقارن الحقيق يحاول ككل علم تاريخي أن يشمل أكبر عدد ممكن من الوقائع مختلفة الأصل حتى يزداد فهمه وتحليله لكل واحدة منها على حدة فهو يوسّع أسس المعرفة كما يجد أسباب أكبر عدد ممكن من الوقائع أريد أن أقول ينبغي أن نفرغ كلمة "المقارنة" من كلّ دلالة فنيّة ونصبّ فيها معنى علميا وتقرير المشابهات والاختلافات بين كتابين أو مشهدين أو موضوعين أو صفحتين من

[1]فان تيجم، الأدب المقارن، تر: حسام الجسامي، المكتبة العربيّة للطباعة والنشر، بيروت، د ط، د ت، ص20

لغتين أو أكثر إنّما هو نقطة البدء الضروريّة التي تتيح لنا اكتشاف تأثر أو اقتباس أو غير ذلك، وتتيح لنا بالتالي أن نفسّر أثر بأثر."[1] ومن جهة أخرى عرّفه فان تيجم الأدب المقارن "العلم الذي يدرس على النّحو الخاصّ من الآثار المختلفة في علاقاتها المتبادلة."[2] وما يقوله ويبرزه "بول فان تيجم "هنا يضع بوقعه الأساس المنهجي لما يسميه "**الأدب المقارن**" باعتباره علمًا تاريخيًا، لا مجرد ممارسة نقدية أو ذوقية.

إنّ جوهر **الأدب المقارن** في المدرسة الفرنسية يقوم على مبدأ **التأثير والتأثر** بين الآداب المختلفة، حيث يُنظر إلى النصوص الأدبية في ضوء علاقاتها المتبادلة وما تخلّفه من آثار متبادلة .والنتيجة التي يحققها هذا المنهج ليست فنية أو جمالية فحسب، بل هي ذات طبيعة **تاريخية**، إذ يسعى إلى الكشف عن مسارات انتقال الأفكار والموضوعات والأنماط عبر الثقافات واللغات.

أــ مبادئ المدرسة الفرنسيّة:

إن المقارنين الفرنسيين ألزموا أنفسهم بجملة من المبادئ التي تشكّل جوهر منهجهم في دراسة الأدب المقارن، إذ لم يكتفوا بالبحث في النصوص على نحو جزئي أو ذوقي، بل سعوا إلى ضبط خطواتهم وفق قواعد محددة، منها:

1ــ التركيز على الصلات التّاريخيّة:

تؤكد المدرسة الفرنسيّة خلال توقيعاتها الأدبية "على حصر الدراسة المقارنة في إطار العلاقات التّاريخيّة الموثقة بين طرفي المقارنة الأدبيّة، ذلك من أجل الحفاظ على طمأنينته العلميّة والمنهجيّة الأكاديميّة."[3] وعليه فقد حرص المقارِنون الفرنسيون على أن تكون

[1] فان تيجم، الأدب المقارن، ص20
[2] أحمد زلط، الأدب المقارن نشأته وقضاياه، ص 45
[3] أحمد شوقي عبد الجواد رضوان، مدخل إلى الدّرس الأدبيّ المقارن، دار العلوم العربيّة، بيروت، ط1، 1990، ص25

دراستهم محصورة في نطاق العلاقات التاريخية الموثقة بين النصوص أو الآداب المتقابلة، وذلك حفاظًا على الصرامة العلمية وضمانًا للمنهجية الأكاديمية الدقيقة .فالمقارنة عندهم لا تُبنى على افتراضات أو انطباعات ذوقية، وإنما على أدلة تاريخية واضحة تثبت وجود صلة أو تأثير متبادل بين طرفي الدراسة.

وبناءً على ما تقدّم، فإنّ أيّ موازنات تُعقد بين كتّاب ينتمون إلى آداب مختلفة، من دون وجود صلة تاريخية موثقة بينهم، لا تُعدّ في نظر المدرسة الفرنسية جزءًا من الأدب المقارن . فشرط المقارنة عندهم هو أن يكون هناك نوع من التأثير أو التأثر مثبت بالأدلة، وإلا فإنّ الدراسة تظلّ مجرد موازنة ذوقية أو شكلية لا قيمة علمية لها.فلا" لا يعد من الأدب المقارن في شيء ما يعقد من الموازنات بين الكتّاب من آداب مختلفة لم تقم بينهم صلات تاريخيّة حتى يؤثر أحدهم في الآخر نوعا من التّأثير أو يتأثر به."[1]

2ــ اختلاف اللّغة:

إنّ الحدود الفاصلة بين أدب وآخر في مجال الدّراسة المقارنة

إنّ الخطوط الفاصلة بين الآداب المختلفة في مجال الدراسة المقارنة تُعدّ أساسًا لتحديد طبيعة العلاقة بين هذه الآداب، إذ تُبرز حدود التمايز والاتصال فيما بينها، وتُتيح للباحث فهم آليات التأثير والتأثّر عبر الثقافات واللغات"**فاختلاف اللّغات شرط لقيام الدّراسة الأدبيّة المقارنة والثار الأدبيّة التي تكتب لغة واحدة تخرج من مجال درس الأدب المقارن وأن تأثر بعضها البعض والموازنة بين أديب وأدب من أبناء اللّغة الواحدة لا تدخل في درس الأدب المقارن.**"[2] ومن ثمة يُعدّ اختلاف اللغات شرطًا جوهريًا في دراسة الأدب المقارن، وقد أشار محمد غنيمي هلال إلى ذلك حين أكّد أنّ المقارنات التي تُعقد داخل الأدب القومي الواحد لا

[1] محمد غنيمي هلال، دور الأدب المقارن في توجيه دراسات الأدب العربيّ المعاصر، دار النهضة، مصر، د ط، د ت، ص18

[2] طه ندا، الأدب المقارن، ص20 - 21

تدخل في نطاق الأدب المقارن، سواء وُجدت بينها صلات تاريخية أم لم توجد .ومن هنا يتضح أنّ المدرسة الفرنسية في الدراسات المقارِنة تركّز على إبراز أثر اللغة والأدب والعلاقات المتبادلة بين الآداب القومية المختلفة، بوصفها أساسًا لفهم ظاهرة التأثير والتأثّر.

ب ــ خصائص المدرسة الفرنسيّة:

تتجلى أهمّ خصائص المدرسة الفرنسيّة في مجال الأدب المقارن ضمن حدود واضحة تفصل بين الآداب المختلفة، وهذه الحدود ليست مجرد خطوط فاصلة، بل هي معالم تحدّد طبيعة العلاقة بين النصوص واللغات والثقافات .فوجود هذه الفواصل يتيح للباحث أن يتبيّن أوجه التمايز والاختلاف، وفي الوقت نفسه يكتشف مساحات التفاعل والتأثير المتبادل بين الآداب القومية .ومن هنا يصبح إدراك تلك الحدود ضرورة لفهم كيفية انتقال الأفكار والأنماط الأدبية عبر الزمان والمكان، وهو ما يمنح الدراسة المقارنة عمقها وموضوعيتها".[1]

ج ــ مآخذ المدرسة الفرنسيّة:

رغم القرارات المتنوّعة التي سجلتها إلّا أنّها سجلت عليها مجموعة من المآخذ:

1- "عدم تحديد واضح لموضوع الأدب المقارن ومناهجه.

2- عدم التركيز على الأدب في الدّراسة، والاكتفاء بالخارج والولع بتفسير الظواهر الأدبيّة على أساس حقائق الواقع.

3- التركيز على العامل القومي والخضوع للنزعة التّاريخيّة.

4- يشترط اختلاف اللّغة ووجوب الصلات التّاريخيّة لإثبات التأثير والتأثر."[2]

"تُعتبر المدرسة الفرنسية في الأدب المقارن منطلق هذا الحقل وأحد أبرز روافده، إذ رسّخت منذ نشأتها المنهج التاريخي الوصفي الذي يقوم على تتبّع الروابط وعلاقات التأثير

[1] ينظر: يوسف بكار،خليل الشيخ، الأدب المقارن، ص81.
[2] يوسف بكار خليل الشيخ، الأدب المقارن، ص81

والتأثّر بين الآداب القومية .غير أنّ هذا التوجّه، على الرغم من أهميته في تأسيس الدراسات المقارنة، تعرّض لاحقًا لانتقادات واسعة بسبب نزعة المدرسة نحو المركزية الأوروبية وإغفالها للآداب غير الغربية".

الفصل الأول : الترجمة والهوية القومية في الأدب المقارن

تعد الترجمة من أبرز الآليات التي أسهمت في نشأة الأدب المقارن وتطوره، حيث لم تقتصر وظيفتها على نقل النصوص من لغة إلى أخرى، بل تجاوزت ذلك لتصبح وسيطًا تاريخيًا فاعلًا في نقل التجارب الأدبية بين الشعوب، وقد ساهمت في إبراز ملامح الاتجاه القومي التاريخي من خلال تمكين الباحثين من تتبع حركة التأثير والتأثر بين الآداب، كما لعبت دورا مهما في تشكيل الوعي الأدبي داخل المجتمعات المستقبِلة، خاصة عند ترجمة الأعمال الكبرى التي تحمل أبعادًا ثقافية وحضارية عميقة، غير أن هذه العملية تطرح إشكالات متعددة تتعلق بمدى التزام الترجمة بالأصل من جهة، وخضوعها للتأويل الثقافي من جهة أخرى، وهو ما يجعلها مجالا خصبا للدراسة ضمن إطار الأدب المقارن.

وعليه فإن هذا الفصل يتناول دور الترجمة في نقل التجارب الأدبية التاريخية، مع إبراز بعض النماذج التي أثّرت في تشكيل الاتجاه القومي، إضافة إلى مناقشة إشكالية الترجمة بين الأمانة التاريخية والتأويل الثقافي.

1-مفاهيم أساسية:

أ- مفهوم الاتجاه القومي التاريخي:

يعرف الاتجاه القومي التاريخي بأنه:" أحد الاتجاهات الرئيسة في الأدب المقارن الذي ظهر في فرنسا خلال القرن التاسع عشر، ويقوم على دراسة العلاقات التاريخية الفعلية بين الآداب المختلفة من خلال تتبع مظاهر التأثير والتأثر والوسائط التي انتقلت بواسطتها الأعمال الأدبية والأفكار بين الأمم، مع التركيز على البعد القومي لكل أدب في إطار تطوره التاريخي"[1].

ب- مفهوم الترجمة الأدبية:

[1] محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ط9، 2008، ص 19.

الترجمة الأدبية هي:" عملية نقل النصوص الأدبية من لغة إلى أخرى مع المحافظة قدر الإمكان على المعاني والدلالات والجوانب الجمالية والأسلوبية للنص الأصلي، بما يضمن إيصال الرسالة الأدبية والثقافية إلى القارئ في اللغة المنقول إليها"[1]، وتعد من أهم وسائل التواصل والتفاعل بين الثقافات والآداب العالمية.

ج- مفهوم المرجعية الثقافية والتاريخية:

يقصد بالمرجعية الثقافية والتاريخية:" مجموعة المعارف والقيم والعادات والتقاليد والأحداث التاريخية التي يستند إليها الكاتب أو النص الأدبي في بناء مضامينه ودلالاته، حيث تشكل الخلفية الفكرية والحضارية التي تمنح النص معانيه وتساعد القارئ على فهم أبعاده الثقافية والتاريخية في سياقها الأصلي"[2].

1-دور الترجمة في نقل التجارب الأدبية التاريخية:

إن فن الترجمة يعد في كثير من التصورات التقليدية فنا فرعيا غير أصيل، وهو ما جعله لا يحظى بالمكانة الرفيعة التي تُمنح عادة للعمل الإبداعي، الأمر الذي أدى إلى معاناته من أحكام عامة مجحفة في ميدان الأدب، وقد ترتب عن هذا التقليل من شأن الترجمة أثر عملي سلبي تمثل في تراجع المستوى المطلوب منها، بل إن الأمر بلغ في بعض الفترات حدًّا كاد يؤدي إلى اندثار هذا الفن بشكل كامل، كما ارتبط ذلك بسوء فهم عميق لطبيعة الترجمة، حيث غاب الوعي بأهميتها وتعقيدها، وهو ما انعكس بشكل مباشر على تقويمها داخل الحقل الأدبي.[3]

---

[1] صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1998، ص 274.

[2] سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي: الزمن، السرد، التبئير، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط4، 2005، ص 34.

[3] سوزان باسنيت، الأدب المقارن، مقدمة نقدية، تر: أميرة حسن نويرة، المجلس الأعلى للثقافة (المركز القومي للترجمة)، القاهرة، مصر، ط 1، 1999، ص 157.

وفي هذا السياق أثارت محاضرة بيلوك جدلا واسعا، إذ حاول من خلالها تنبيه مستمعيه إلى تعقيد عملية الترجمة بهدف الرفع من مكانتها المتدنية، غير أنه بالغ في طرحه، إذ ليس دقيقًا القول إن الترجمة لم تمنح إطلاقا مكانة سامية كالعمل الإبداعي، بل إن ما أشار إليه يعكس موقفا تبلور تدريجيا منذ القرن السابع عشر، حيث بدأت الترجمة تُنظر إليها بوصفها أقل شأنا، وهو التصور الذي ترسّخ مع حلول القرن التاسع عشر، وفي هذا الإطار، اعترف منظّرو الأدب المقارن بدور الترجمة في دراساتهم، غير أنهم شددوا في المقابل على أولوية القراءة بالنصوص الأصلية،[1] مما جعل حضور الترجمة يقتصر غالبا على فصول أو أجزاء محدودة، مع استخدام مصطلحات مثل "اقتباس" أو "محاكاة"، وهي دلالات تُحيل ضمنيًا إلى نصوص مشتقة ذات طابع ثانوي وغير أصيل.

لقد اتخذت الدراسات المقارنة الثنائية موقفا صارما من الترجمة، إذ يفترض هذا النموذج أن الباحث الكفء هو الذي يقرأ النصوص بلغاتها الأصلية، معتبرا أن هذا النمط من القراءة يتفوق بشكل كبير على القراءة عبر النصوص المترجمة، في حين تجاهل النموذج الأمريكي، القائم على فكرة القيم العالمية للأدب، مسألة الترجمة بشكل شبه كامل، حيث اعتبرت عملية نقل النصوص من سياق إلى آخر خارج نطاق الدراسة الأدبية، أو من اختصاص علماء اللغة دون غيرهم، وقد تجلّت هذه المكانة المتدنية للترجمة في ممارسات متعددة، منها فصل الترجمات في قوائم مستقلة ضمن الأعمال المنشورة، ووضعها إلى جانب الأعمال الهامشية أو المبكرة، إضافة إلى ضعف المكافآت المالية التي يتقاضاها المترجمون، وكذلك تدني قيمة الترجمة مقارنة بالأعمال النقدية في معايير الترقية الأكاديمية، غير أن هذا الوضع بدأ يتغير مع سبعينيات القرن العشرين، حيث ظهرت مجموعة من الباحثين الذين قدموا رؤية جديدة لدراسة الترجمة، وكان من أبرزهم إيتامار إيفان زوهار الذي قاد ما عُرف بـــ"دراسات الترجمة"، وقد سعى في أبحاثه، خاصة في دراسته المعنونة بـــ"نظرية الترجمة الآن"، إلى

[1] المرجع نفسه، ص 157.

مراجعة التصورات السائدة حول الترجمة، واقتراح مدخل علمي منظم قادر على تجاوز الغموض الذي طبع فهم هذه العملية، والارتقاء بها إلى مجال معرفي مستقل له أدواته ومناهجه الخاصة.[1]

ولقد لعبت الترجمة دورا أساسيا في نقل التجارب الأدبية التاريخية الكبرى، حيث أسهمت في تعريف العالم بأعمال أدبية شكّلت منعطفات حاسمة في تاريخ الفكر والأدب، مثل نقل الفلسفة اليونانية إلى العالم العربي خلال العصر العباسي، ثم إعادة ترجمتها إلى أوروبا في العصور الوسطى، وهذا ساهم في انطلاق حركة النهضة الأوروبية، كما أن ترجمة الأعمال الأدبية العالمية كالروايات والملاحم والشعر ساعدت على تلاقح الأفكار وتداخل الرؤى الفنية، حيث أصبحت التجربة الأدبية المحلية جزءا من تراث إنساني مشترك.[2]

ولا يقتصر دور الترجمة على نقل النصوص فحسب، بل يتعداه إلى نقل القيم والتصورات والأنساق الثقافية التي تتضمنها هذه النصوص، فالأدب هو مرآة لبيئته التاريخية والاجتماعية، وعند ترجمته يتم نقل هذه الأبعاد إلى القارئ في ثقافة أخرى، مما يتيح فهما أعمق للتجارب الإنسانية المختلفة، كما تسهم الترجمة في إبراز أوجه التشابه والاختلاف بين الثقافات.

ذلك فإن الترجمة تواجه تحديات كبيرة عند نقل التجارب الأدبية التاريخية، أبرزها صعوبة الحفاظ على الخصوصية الأسلوبية للنص الأصلي، خاصة في ما يتعلق بالصور البلاغية والإيحاءات الثقافية والرموز التاريخية، إذ قد يؤدي النقل الحرفي إلى فقدان روح النص،

[1] سوزان باسنيت، المرجع السابق، ص 158.

[2] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص 234.

بينما قد يبتعد النقل الحر عن المعنى الأصلي[1]، لذلك يتطلب الأمر مترجما يمتلك حسا أدبيا وثقافيا عاليا يمكّنه من تحقيق التوازن بين الأمانة للنص والإبداع في نقله.

إن الترجمة كانت ولا تزال أداة أساسية في نقل التجارب الأدبية التاريخية، حيث أسهمت في حفظ التراث الإنساني وتداوله، وفي خلق حوار مستمر بين الحضارات، فهي عملية تفاعل حضاري تعيد تشكيل النص وتمنحه حياة جديدة في ثقافة أخرى.

2-أمثلة لترجمات أثّرت في تشكيل الاتجاه القومي (مثل ترجمة أعمال شكسبير، أو الملاحم اليونانية).

2-1-ترجمة أعمال شكسبير:

لقد عرف العصر الذي ازدهرت فيه النهضة الإنجليزية تنوعا ملحوظا في أساليب الكتابة الأدبية، حيث برز عدد من الأدباء الذين تركوا بصماتهم الخاصة في المشهد الفني، ويأتي في مقدمتهم وليام شكسبير (1564-1616)، الذي يعد علامة فارقة في تاريخ الدراما العالمية، إذ أحدثت أعماله تحولا عميقا في بنية المسرح خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر، حتى وصف بأنه من أعظم من أنجبتهم التجربة الأدبية الإنسانية بما قدّمه من إنتاج إبداعي وتراث فني خالد.[2]

وقد أسهمت مسرحيات شكسبير في إعادة تشكيل ملامح المسرح الإنجليزي خاصة، والمسرح العالمي عامة، إذ اعتمد في كتاباته على الشعر المرسل، وهو ما منح نصوصه طابعًا يجمع بين الحوار والإيقاع والموسيقى الداخلية للغة، كما تميز أسلوبه بالقدرة على توظيف الألفاظ بطريقة فنية مكثفة تعكس عمق التجربة الإنسانية وتعقيداتها النفسية.

---

[1] أومبارو أورتادو ألبير، الترجمة ونظرياتها: مدخل إلى علم الترجمة، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2007، ص 217.

[2] العقاد عباس محمود، التعريف بشكسبير، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط2، دت، ص 18.

ومن هنا يتضح أن ترجمة النص المسرحي هي مهمة معقدة ترتبط بطبيعة هذا الفن الذي كُتب أساسا ليعرض على الخشبة لا ليقرأ فقط، وتزداد هذه الصعوبة عندما يتعلق الأمر بالمسرح الشعري كما هو الحال في أعمال شكسبير، حيث يصبح الحفاظ على البنية الإيقاعية والصور البلاغية تحديا حقيقيا أمام المترجم.

لذلك يفترض على المترجم عند نقل هذه الأعمال إلى لغة أخرى أن يوازن بين الأمانة للنص الأصلي والحفاظ على جماليته الفنية، لأن الترجمة في هذه الحالة تقترب من الإبداع الشعري نفسه، وهو ما عبّر عنه إدمون كاري بقوله:

"Pour traduire les poètes ; il faut savoir se montrer poète "

أي إن ترجمة الشعر تتطلب روحا شعرية مماثلة.

كما أن شكسبير يعد في كثير من الدراسات السابقة لروح الرومانسية، حيث ظهرت في أعماله ملامح فكرية وجمالية تجاوزت قواعد عصره، من خلال كسره للحدود الجغرافية والزمنية في بناء أحداث مسرحياته، وهو ما جعل أعماله تمثل تحديا إضافيا في الترجمة، خاصة أنها ما تزال تعرض إلى اليوم وتحافظ على حضورها العالمي منذ العصر الإليزابيثي.[1]

ويطرح هذا الوضع إشكالا مهما يتعلق بكيفية ترجمة هذه النصوص، هل يفضل نقلها شعريا للحفاظ على بنيتها الفنية باعتبار الشكل جزءًا من المعنى، أم يكتفى بترجمتها نثرا مع التركيز على المحتوى فقط مع محاولة الحفاظ على دلالاتها الجمالية والإيحائية.

[1] مجلة Babel ، مجلة الترجمة، المجلد الخامس، العدد الثالث، العدد 1، 1997، ص 27.

وفي هذا السياق يؤكد إتكند (Etkind) أنه لا يمكن ولا ينبغي ترجمة الشعر إلا شعرا، لما يحمله الشكل الشعري من قيمة دلالية وجمالية لا تنفصل عن المعنى.[1]

لقد واجه مترجمو شكسبير صعوبات عديدة في نقل أعماله إلى لغات أخرى، ومن بين هذه الصعوبات ما يمكن توضيحه من خلال ترجمة "فرانسوا فيكتور هيغو" لمسرحية "أنطونيو وكليوباترا"، رغم أن اللغتين الفرنسية والإنجليزية تتشابهان من حيث البنية النحوية للجملة، إلا أن عملية نقل النصوص الشكسبيرية تظل معقدة، وتزداد هذه الصعوبة عند ترجمتها إلى اللغات السامية ومنها اللغة العربية.

ومن الأمثلة الدالة على هذه الإشكالية لفظة (Mallard) التي تعني "ذكر البط البحري"، حيث تم استبدالها في الترجمة بـــ (Canard)، غير أن العودة إلى النص الأصلي تكشف أن شكسبير لم يوظف هذا اللفظ بشكل اعتباطي، بل حمله دلالة حسية وفنية في آن واحد، إذ يرمز هذا الطائر في الثقافة الإنجليزية إلى الوفاء في الحب، حيث يُعرف بأن الذكر يرافق أنثاه حتى في لحظات موتها، وهو ما جعله رمزا فنيا استحضره شكسبير لتجسيد صورة أنطونيو حين تخلى عن موقعه العسكري والتحق بكليوباترا بعد معركة أكتيوم.

غير أن هذه الدلالة لا يمكن إدراكها بعمق إلا داخل سياقها الثقافي الإنجليزي، لأنها نابعة من بيئة ومعايشة خاصة بهذا الحيوان البحري في الذاكرة الشعبية، مما يجعل اللغة ليست مجرد نظام لغوي، بل هي أيضا فكر وسلوك وثقافة، وبالتالي فإن الترجمة ليست نقلًا للكلمات فقط، بل نقل لمنظومات ثقافية متكاملة، ومن هنا فإن مقابلة (Canard) في الفرنسية لا تحمل نفس الشحنة الثقافية والجمالية، إذ تشير في الوعي الفرنسي إلى طائر مختلف يعيش

[1] Etkind (Efim), Un art en crise, essai de poétique de traduction poétique, Traduit par W . Troubetzkoy, avec la collaboration de l'auteur, Lausanne, L'Age d'Homme, 1982, p.23.

في بيئة منزلية[1]، وهو ما قد يخلق فجوة دلالية لدى المتلقي ويحد من قوة الصورة الفنية الأصلية.

ويؤكد "مونان" (Mounin) هذا الطرح حين يذهب إلى أن اللغات هي أنظمة دلالية متغيرة، ولو كانت الترجمة بهذه البساطة لكانت عملية سهلة ومباشرة[2].

كما يوضح "جيبسون" (Gibson) أن إدراك الإنسان للعالم يتحدد عبر عوامل ذاتية وثقافية ولغوية، في حين يرى "هاليداي" (Halliday) أن الثقافة التي ينشأ فيها الفرد تساهم في تشكيل رؤيته للواقع وتوجيه خطابه، وهو ما يجعل الاختلاف الثقافي عنصرًا أساسيًا في صعوبة الترجمة.[3]

وفي هذا السياق برزت مسألة "الطابوهات" أو المحظورات الثقافية، وهي كل ما يتعارض مع القيم الدينية أو الأخلاقية أو الإيديولوجية لمجتمع ما، وهذا ما يضع المترجم في مواجهة مباشرة مع نصوص قد تحمل مضامين حساسة يصعب نقلها دون تعديل أو تلطيف، خاصة في الأعمال الشكسبيرية التي لا تخلو من الإيحاءات الجريئة والمشاهد التي تعكس حرية التعبير في عصرها.[4]

ومن هنا يجد المترجم نفسه أحيانا بين خيارين صعبين: إما الحفاظ على أمانة النص مع ما قد يثيره من صدمة ثقافية، أو تكييفه بما يتناسب مع ثقافة المتلقي، وهو ما قد يؤدي إلى نوع من التحوير أو التشويه الدلالي.

---

[1] داود سلوم، دراسات في الأدب المقارن والتطبيقي، بغداد، 1994، ص 133.

[2] Mounin (Georges), Linguistique et Traduction, Dessart et Mardaga. Bruxelles, 1976, P. 61.

[3] إدوارد سعيد، الاستشراق: المفاهيم الغربية عن الشرق، ترجمة كمال أبو ديب، ط 2، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، 1981، ص83.

[4] المرجع نفسه، ص 84.

إن ترجمة أعمال شكسبير إلى لغات وثقافات متعددة لم تكن مجرد نقل لغوي، بل ساهمت في إدخال أنماط فكرية وجمالية جديدة إلى الآداب الأخرى، مما ساعد على تطوير الوعي الأدبي وتعميق التفاعل الثقافي، وهو ما مهّد بشكل غير مباشر لظهور بعض الملامح المرتبطة بالاتجاهات القومية في الفكر الأدبي لاحقا.

2-2-الملامح اليونانية:

ساهمت ترجمة الملاحم اليونانية مثل "الإلياذة" و"الأوديسة" في نقل نموذج البطولة والانتماء إلى الأمة، وهو ما جعلها مصدر إلهام للحركات الأدبية التي سعت إلى بناء الوعي القومي في أوروبا، كما كان لانتشارها دور في إعادة إحياء التراث الكلاسيكي داخل الأدب الحديث.

تعد "الإلياذة" لهوميروس من أبرز الملاحم التي كان لترجمتها أثر بالغ في إعادة تشكيل التصورات الأدبية حول مفهومي البطولة والانتماء، إذ لم تكن مجرد نص سردي عن حرب طروادة، بل كانت بناء ثقافيا يعكس تصور الإغريق القديم لفكرة المجد الجماعي والشرف العسكري، وقد أسهم انتقالها إلى لغات أوروبية مختلفة في إبراز نموذج البطل الذي يتجاوز ذاته الفردية ليصبح رمزا للجماعة وقيمها،[1] وهو ما جعلها مرجعا أدبيا استلهمته التيارات الفكرية التي ارتبطت بتصاعد الحس القومي في أوروبا، حيث تم توظيف صورها البطولية في تعزيز فكرة الأمة الموحدة ذات التاريخ المشترك، كما ساعدت إعادة صياغتها وترجمتها في عصور النهضة على إحياء الاهتمام بالتراث الكلاسيكي بوصفه مصدرا للهوية الثقافية والوعي التاريخي،[2] أدت إلى منح الأدب الأوروبي أدوات رمزية جديدة للتعبير عن الانتماء والجذور الحضارية.

[1] مجدي وهبة، دراسات في الأدب المقارن، ط1، دار المعارف، القاهرة، 1980، ص 128.

[2] مجدي وهبة، المرجع السابق، ص 131.

أما "الأوديسة" فهي لا تقل أهمية عن سابقتها، إذ تقدم نموذجا مختلفا للبطولة يقوم على فكرة الرحلة والعودة إلى الوطن، حيث يجسد أوديسيوس صورة الإنسان الذي يواجه التحديات والصعاب من أجل استعادة ارتباطه بأرضه وهويته[1]، وقد لعبت الترجمات المتعددة لهذا العمل دورا مهما في ترسيخ قيمة الوطن باعتباره مركز الانتماء الوجداني والثقافي، وهو ما جعلها مصدر إلهام للعديد من الكتاب الذين ربطوا بين فكرة العودة والهوية القومية في سياقاتهم الأدبية، كما أن انتشارها في أوروبا ساهم في تعزيز الوعي بالذاكرة الجماعية وبناء تصور أدبي يجعل من الوطن عنصرا مركزيا في تشكيل الشخصية الفردية والجماعية[2]، الأمر الذي جعل هذه الملحمة تتحول عبر الترجمة إلى خطاب ثقافي يعكس تطلعات المجتمعات نحو تثبيت هويتها وإعادة اكتشاف جذورها التاريخية.

3-الترجمة بين الأمانة التاريخية والتأويل الثقافي:

تعالج الترجمة داخل الدراسات الأدبية المعاصرة بوصفها ممارسة إشكالية تتحدد داخل منطقة تماس دقيقة بين مطلب الحفاظ على مرجعيات النص الأصلي وبين ضرورة إعادة إنتاجه داخل فضاء ثقافي مغاير.

فمفهوم الأمانة التاريخية ينظر كوعي منهجي بسياق إنتاج النص وبنيته التاريخية والاجتماعية، وهو ما يتقاطع مع التصور اللانسوني عند غوستاف لانسون الذي يربط القيمة الأدبية للنص بظروف تشكله داخل نسق حضاري محدد، حيث لا تنفصل الدلالة الجمالية عن الخلفية التاريخية والفكرية التي أنتجتها،[3] غير أن هذا التصور يواجه حدودا معرفية عند الانتقال إلى الترجمة، لأن النص لا ينتقل بوصفه بنية مغلقة، بل يعاد إدخاله في منظومة لغوية ورمزية مختلفة، تتغير داخلها آليات الدلالة وأنماط التلقي.

---

[1] شكري عياد، مقدمة في الأدب المقارن، ط 1، دار الفكر العربي، القاهرة، 1992، ص 216.

[2] المرجع نفسه، ص 217.

[3] غوستاف لانسون، تاريخ الأدب الفرنسي، تر: عادل زعيتر، دار المعارف، القاهرة، ط 2، 1956، ص 224.

في هذا المستوى، يتقدم التأويل الثقافي باعتباره ضرورة إبستيمولوجية، إذ يتعامل المترجم مع النص بوصفه شبكة من العلامات الثقافية التي تتطلب تفكيكا ثم إعادة تركيب وفق منطق الثقافة المستقبِلة، هذا التصور يجد أساسه في الأدب المقارن عند كلود بيشوا وهنري ريمون، حيث يعتبر الترجمة كآلية للوساطة بين أنساق أدبية غير متجانسة، تقوم على نقل العلاقات الدلالية أكثر من نقل الوحدات اللفظية، مع الاعتراف بأن كل انتقال بين لغتين يستلزم درجة من إعادة التشكيل،[1] ومن هذا المنظور، لا تعود الترجمة فعلا محايدا، بل تتحول إلى ممارسة تأويلية خاضعة لاشتغال المترجم كفاعل معرفي يعيد بناء النص وفق شبكة مرجعيات جديدة.

ويذهب جرج مونان إلى تعميق هذا الطرح من خلال تأكيده أن التباين البنيوي بين اللغات يفرض ما يمكن تسميته بـــ"اللا-تكافؤ الدلالي"[2]، حيث يستحيل تحقيق تطابق كامل بين الأصل والترجمة، الأمر الذي يجعل الترجمة دائما عملية تقريب دلالي محكومة بالاختيار والتعديل.

في ضوء هذا التداخل النظري، تتحدد الترجمة كفضاء معرفي تتقاطع فيه مستويات متعددة: مستوى تاريخي يحيل إلى أصل النص، ومستوى ثقافي يعيد تشكيل دلالاته، ومستوى تأويلي يضبط طريقة انتقاله بين الأنظمة اللغوية.

خلاصة الفصل الأول:

يبرز هذا الفصل الدور الرئيسي للترجمة بوصفها وسيلة عبور بين العصور والثقافات، حيث أتاحت انتقال التجارب الأدبية من فضائها الأصلي إلى سياقات لغوية وحضارية مغايرة، مما ساهم في توسيع دائرة التلقي وإعادة إنتاج النصوص داخل بيئات جديدة، وقد أظهرت الأمثلة المدروسة كيف أسهم نقل الأعمال الكلاسيكية الكبرى في إعادة تشكيل الوعي

[1] هنري ريمون، الأدب المقارن، تر: سعاد خليل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط 1، 1992، ص 312.
[2] جورج مونان، الترجمة والألسنية، تر: عبد الله صولة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1، 1987، ص 176.

الأدبي وإغناء التصورات الفكرية المرتبطة بالهوية الثقافية، إذ لم يكن هذا النقل مجرد تحويل لغوي، بل عملية إعادة بناء دلالي يواكب خصوصيات كل سياق، كما كشف الفصل عن جدلية دقيقة بين الحفاظ على البنية الأصلية للنصوص وبين إعادة صياغتها بما يتلاءم مع الأفق الثقافي الجديد، وهو ما جعل الترجمة ممارسة تتأرجح بين النقل الدقيق وإعادة التأويل، لتغدو بذلك عنصرا فعالا في توجيه مسارات التفاعل الأدبي عبر الزمن.

الفصل الثاني : الكتب المرجعية وبناء الذاكرة القومية التاريخية

تشكل الكتب المرجعية ركيزة أساسية في بناء الذاكرة الأدبية وتوجيه الدراسات المقارنة، حيث تسهم في تأطير فهم النصوص وربطها بسياقاتها التاريخية والثقافية، وقد كان لها دور بارز في ترسيخ الاتجاه القومي التاريخي من خلال توثيق العلاقات بين الآداب القومية وإبراز مسارات تطورها عبر الزمن، كما ساعدت هذه المؤلفات على بلورة منهج نقدي يعتمد على التحليل التاريخي في دراسة الظواهر الأدبية، وهو ما أتاح إجراء مقارنات دقيقة قائمة على أسس علمية، وقد تجلى هذا الدور من خلال إسهامات عدد من المفكرين والنقاد مثل طه حسين وغوستاف لانسون وإدوارد سعيد، الذين أسهمت أعمالهم في توجيه الدراسات المقارنة وإثرائها، وعليه فإن هذا الفصل يتناول كيفية إسهام الكتب النقدية والتاريخية في ترسيخ الاتجاه القومي، مع عرض نماذج من هذه المؤلفات، وبيان أثرها في تشكيل المقارنات الأدبية عبر العصور.

1-مساهمة الكتب النقدية والتاريخية في ترسيخ الاتجاه القومي:

تضطلع الكتب النقدية والتاريخية بدور حاسم في ترسيخ التصور القومي للأدب، إذ تعيد صياغة الخطاب الأدبي داخل بنية مرجعية تربط النص بسياقه الحضاري العام، حيث ينظر إلى الإنتاج الأدبي باعتباره تجلّيا للوعي الجمعي للأمة وامتدادا لتجاربها التاريخية المتراكمة،[1] كما تعمل هذه المؤلفات على تفكيك المسار التطوري لكل أدب قومي عبر تتبع تحوّلاته الجمالية والفكرية وربطه بمحطات التحول الاجتماعي والسياسي التي أسهمت في تشكيله، وهو ما يفضي إلى إبراز ملامح التمايز بين الآداب وتثبيت فكرة الخصوصية الثقافية بوصفها أساسا في فهم الظاهرة الأدبية، ومن زاوية منهجية فإن اعتماد المقاربة التاريخية يمنح القراءة النقدية عمقًا تفسيريًا يجعل النصوص مفهومة داخل شروط إنتاجها بدل عزلها عن محيطها[2]، الأمر الذي يرسّخ مركزية الهوية الثقافية في التحليل ويمنح الأدب وظيفة

[1] إدوارد سعيد، مرجع سبق ذكره، ص 102.

[2] طه حسين، في الأدب الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، ط 4، 1966، ص 221.

توثيقية تتجاوز البعد الجمالي إلى بناء الذاكرة الجماعية، كما تساهم هذه الكتابات في إعادة ترتيب التراث الأدبي ضمن سردية متماسكة تظهر تطور الفكر الإنساني داخل كل أمة على حدة، [1]وبذلك تصبح المرجعيات النقدية والتاريخية أداة تأسيسية في بلورة الوعي القومي وتوجيه الدراسات المقارنة نحو الانطلاق من الداخل الثقافي قبل أي تقاطع خارجي مع الآداب الأخرى.

2-دراسة نماذج، كتب طه حسين، غوستاف لانسون، أو إدوارد سعيد

تعتبر الكتابات المرجعية عند طه حسين وغوستاف لانسون وإدوارد سعيد من أبرز المحطات التي أعادت تشكيل الوعي النقدي الحديث، إذ لم تكن مجرد أعمال وصفية للأدب، بل مشاريع فكرية أعادت تنظيم العلاقة بين النص والتاريخ والهوية، وأسهمت في بناء ذاكرة أدبية ذات بعد منهجي واضح، يقوم على إعادة قراءة الأدب في ضوء شروطه الحضارية والثقافية.

2-1-طه حسين: إعادة بناء الوعي الأدبي العربي من الداخل التاريخي

يعد طه حسين من أبرز المفكرين الذين أعادوا مساءلة التراث الأدبي العربي من منظور نقدي تاريخي صارم، حيث سعى في كتابه في الأدب الجاهلي إلى إخضاع النصوص القديمة لآليات الشك العلمي والتحليل التاريخي، وهو ما جعله يربط الأدب بسياقه التاريخي بدل التسليم التقليدي بالمرويات، وقد أدى هذا التوجه إلى إعادة تشكيل الوعي بالهوية الأدبية العربية، إذ لم يعد الأدب الجاهلي مجرد مادة تراثية ثابتة، بل أصبح مجالا قابلا لإعادة الفحص والتأويل،[2] كما أن اعتماده على المنهج العقلي والتحليل التاريخي ساهم في ترسيخ فكرة أن فهم الأدب لا ينفصل عن بيئته الاجتماعية والثقافية، وبذلك أسهم في تنمية التصور

[1]المرجع نفسه، ص 222.

[2]طه حسين، مرجع سبق ذكره، ص 143.

القومي للأدب العربي من خلال إعادة بنائه على أسس علمية حديثة، تجعل من التاريخ أداة لفهم النصوص وليس مجرد خلفية لها[1]، وهو ما منح الدراسات العربية بعدا نقديا جديدا يقوم على إعادة الاعتبار للهوية الثقافية ضمن منظور منهجي حديث.

2-2-غوستاف لانسون: تأسيس المنهج التاريخي في النقد الأدبي الأوروبي

يمثل غوستاف لانسون أحد أبرز مؤسسي المدرسة التاريخية في النقد الأدبي الفرنسي، حيث عمل في كتابه تاريخ الأدب الفرنسي على إعادة ترتيب الأدب ضمن مسار زمني تطوري يربط النصوص بالتحولات السياسية والاجتماعية والفكرية، وقد كان هدفه الأساسي هو تجاوز القراءة الانطباعية للأدب نحو قراءة علمية تعتمد على التوثيق والتحليل التاريخي الدقيق، ومن خلال هذا المنهج تمكن من إبراز خصوصية الأدب الفرنسي بوصفه كيانا متماسكا يتطور وفق شروطه الداخلية، كما ساهم في ترسيخ فكرة أن الأدب لا يمكن فهمه إلا داخل سياقه القومي، الأمر الذي عزز الاتجاه القومي في الدراسات الأوروبية،[2] حيث أصبح كل أدب يدرس باعتباره تعبيرا عن هوية أمة محددة، وليس مجرد جزء من منظومة أدبية عامة، وقد أدى هذا التصور إلى تقوية الوعي بالحدود الثقافية بين الآداب، وإلى تأسيس ذاكرة أدبية وطنية تعتمد على التوثيق التاريخي الدقيق لمسار الإنتاج الأدبي عبر العصور.

2-3-إدوارد سعيد: تفكيك المركزية وإعادة قراءة الخطاب الثقافي، قراءة في كتاب " الاستشراق"

يعد إدوارد سعيد من أبرز المفكرين الذين أعادوا مساءلة العلاقة بين الأدب والسلطة والمعرفة، خاصة في كتابه الاستشراق، حيث قدّم قراءة نقدية تكشف كيف تم بناء صورة "الشرق" داخل الخطاب الغربي بوصفها بناء ثقافيا مرتبطا بالهيمنة الاستعمارية، وقد أسهم

[1] المرجع نفسه، ص 145

[2] غوستاف لانسون، مرجع سبق ذكره، ص 218.

هذا التحليل في إعادة فهم النصوص الأدبية ضمن شبكة من العلاقات السياسية والثقافية، وليس باعتبارها إنتاجا جماليا محضا، كما أن فكرته حول "التمثيل الثقافي" أعادت الاعتبار لدور الخطاب الأدبي في تشكيل الوعي بالهوية، سواء في المركز أو في الأطراف[1]، وبذلك فتح المجال أمام إعادة قراءة الآداب القومية في ضوء علاقتها بالسلطة والمعرفة، مما أدى إلى توسيع مفهوم الذاكرة الأدبية ليشمل البعد الإيديولوجي والاستعماري، وليس فقط البعد التاريخي أو الجمالي، وهو ما جعل إسهامه يتجاوز النقد التقليدي نحو تأسيس رؤية ما بعد كولونيالية تعيد توزيع موقع الأدب داخل المنظومة الثقافية العالمية.

3-أثر هذه الكتب في تشكيل المقارنات الأدبية عبر العصور:

أحدثت الكتابات المرجعية تحوّلا عميقا في طريقة مقاربة الظاهرة الأدبية داخل الدراسات المقارنة، إذ أعادت ضبط زاوية النظر نحو النصوص عبر إدراجها ضمن شبكاتها التاريخية والثقافية والفكرية، مما جعل الاشتغال النقدي يتجه نحو تفكيك الشروط التي تحكم إنتاج العمل الأدبي وتلقيه، بدل الاكتفاء بالمقابلة الشكلية بين النصوص، وقد أفضى هذا التوجه إلى إعادة ترتيب أدوات التحليل بحيث يغدو الفهم التفصيلي لكل إنتاج أدبي خطوة تأسيسية قبل أي عملية موازنة مع غيره من الآداب.

أولا: استبطان البنية التاريخية للنصوص داخل الدرس المقارن:

ساهم هذا المنحى في ترسيخ وعي نقدي يرى أن كل عمل أدبي هو امتداد لمسار زمني طويل تتداخل فيه التحولات الاجتماعية والسياسية والفكرية، الأمر الذي دفع بالباحثين إلى تتبع جذور الظاهرة الأدبية داخل بيئتها الأصلية، واستحضار التحولات التي مرّت بها قبل

[1] إدوارد سعيد، الاستشراق: المعرفة، السلطة، الإنشاء، ترجمة: كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ط 6، 2003، ص 87.

إدخالها في أي علاقة مقارنة،[1] وهو ما جعل المقارنة تعتمد على معطيات متراكمة بدل الانطباعات الجزئية، وأكسبها قدرة أكبر على تفسير الاختلافات بين الآداب من خلال مرجعياتها الداخلية.

ثانيا: إعادة ضبط مفهوم الخصوصية الأدبية:

أدى هذا التصور إلى إبراز الطابع المتمايز لكل إنتاج أدبي، حيث تم التعامل مع كل تجربة بوصفها بناء مركبا تشكّل عبر تفاعل طويل بين اللغة والواقع والذاكرة الجماعية، مما جعل الاختلاف بين الآداب ركيزة أساسية وليس نتيجة عرضية، كما أتاح هذا التوجه إعادة قراءة التراث الأدبي في ضوء تطوره الداخلي بدل إخضاعه لمعايير خارجية جاهزة،[2] الأمر الذي دعم دقة التحليل المقارن وعمّق فهمه لآليات التشكل الأدبي.

ثالثا: اتساع مجال المقارنة نحو الأبعاد الفكرية والثقافية

انتقلت المقاربة المقارنة إلى مستوى أكثر شمولا، إذ لم تعد تقتصر على البنية النصية، بل امتدت إلى دراسة تمثلات الفكر داخل الخطاب الأدبي، والعلاقات التي تربطه بمنظومات المعرفة والسلطة والتصورات الثقافية[3]، وهو ما أتاح قراءة متعددة المستويات للنصوص، تكشف تداخل الجمالي بالمعرفي داخل الإنتاج الأدبي، وتمنح المقارنة قدرة على تفكيك آليات بناء المعنى داخل سياقات مختلفة.

وبهذا المسار الجديد، أعيد تشكيل الدرس المقارن على أساس رؤية أكثر تركيبا، تنطلق من تفكيك عناصر الظاهرة الأدبية في بيئتها الخاصة، ثم الانتقال إلى تحليل علاقاتها عبر

[1] رينيه إتيامبل، الأدب المقارن، ترجمة: محمد غنيمي هلال، دار الثقافة، القاهرة، 1971، ص 40.
[2] المرجع نفسه، ص 42.
[3] هنري ريمي مارو، الأدب المقارن، ترجمة: محمد غنيمي هلال، دار نهضة مصر، القاهرة، 1963، ص 25.

الزمن والثقافات، بما يسمح بفهم أعمق لتعدد التجارب الأدبية واختلاف مساراتها عبر العصور.

خلاصة الفصل:

تناول هذا الفصل الدور التأسيسي للمدونات النقدية والتاريخية في تشكيل الوعي الأدبي الجماعي، من خلال إعادة تنظيم المادة الأدبية داخل أطر معرفية تجعلها قابلة للفهم والتحليل ضمن سياقاتها الحضارية، وقد أظهرت النماذج المدروسة أن مشاريع كل من طه حسين وغوستاف لانسون وإدوارد سعيد لم تقتصر على التوثيق، بل تجاوزته إلى بناء رؤية نقدية تعيد قراءة النصوص وفق مناهج مختلفة تجمع بين التاريخي والثقافي والفكري، مما أسهم في إعادة ترتيب العلاقة بين الأدب وبيئته الأصلية، كما بين الفصل أن هذا النوع من الكتابات لعب دورا أساسيا في تطوير الدراسات المقارنة، من خلال إرساء قاعدة معرفية تسمح بفهم الخصوصيات قبل الانتقال إلى الربط بين الآداب.

الفصل الثالث : السير الذاتية والغيرية كمرآة تاريخية

إن أدب السيرة الذاتية والغيرية من الأجناس الأدبية التي تجمع بين الجانب الإبداعي والبعد التاريخي، إذ لا يقتصر على سرد حياة الأفراد فقط، بل يكشف أيضا طبيعة العصر والتحولات الفكرية والاجتماعية التي عاشها الكاتب، لذلك أصبحت السيرة وثيقة أدبية تساعد على فهم السياق التاريخي للنصوص الأدبية، لأن الأديب غالبًا ما يعكس في سيرته تجربته الإنسانية ومواقفه الفكرية وعلاقته بمجتمعه، مما يجعلها وسيلة لفهم الخلفيات التي أثرت في إنتاجه الأدبي.

وتبرز أهمية السيرة كذلك في الدراسات المقارنة، خاصة عند المقارنة بين كتاب من ثقافات مختلفة، لأنها تكشف أوجه التشابه والاختلاف في تمثيل الذات والواقع، كما تسهم في تفسير البنية التاريخية للنصوص الأدبية وربطها بالظروف السياسية والاجتماعية والثقافية التي نشأت فيها.

ومن هذا المنطلق، يتناول هذا الفصل السيرة الذاتية والغيرية بوصفها مرآة تاريخية، من خلال تحليل السير باعتبارها وثائق أدبية، ثم المقارنة بين سيرة عباس محمود العقاد وجان جاك روسو، إضافة إلى دراسة دور السيرة في فهم البنية التاريخية للنص الأدبي، مع التوقف عند نماذج تطبيقية مثل ترجمة الإلياذة إلى العربية، وكتاب في الشعر الجاهلي، والمقارنة بين سيرة مي زيادة وفرجينيا وولف في تمثيل صورة المرأة المثقفة.

1-تحليل السير بوصفها وثائق أدبية تُضيء السياق التاريخي للنصوص:

1-1-السيرة الذاتية:

تُعدّ السيرة الذاتية من الفنون الأدبية التي برزت بشكل واضح منذ العصر الروماني، حيث شكّلت البداية الحقيقية لهذا الجنس الأدبي، وقد حظيت باهتمام كبير في الآداب العالمية عامة والأدب العربي خاصة، لما لها من قدرة على تصوير التجربة الإنسانية والكشف عن الجوانب النفسية والفكرية لصاحبها. ومع انتشار هذا الفن، تعددت التعريفات التي تناولته،

غير أن النقاد لم يتفقوا على تعريف جامع له، ويرجع ذلك إلى تداخله مع أجناس أدبية أخرى كالرواية والمذكرات واليوميات.

وفي هذا السياق يرى جورج ماي أن الوصول إلى تعريف دقيق للسيرة الذاتية أمر صعب، "باعتبارها جنسا أدبيا حديث النشأة نسبيًا مقارنة ببقية الأجناس الأدبية"[1].

كما عرفها عبد العزيز شرف بأنها:" ترجمة الإنسان لحياته كما يراها هو بنفسه، أي أنها تقوم على نقل التجربة الشخصية بصدق ووعي ذاتي"[2].

وترتبط السيرة الذاتية ارتباطا وثيقا بالواقع، لأن الكاتب يسرد فيها تفاصيل حياته ومسار أفكاره وأحاسيسه وتجاربِه المختلفة، ولذلك أطلق عليها فيليب لوجون مفهوم "الميثاق الأوتوبيوغرافي"[3]، الذي يقوم على وجود تطابق بين المؤلف والسارد والشخصية داخل النص، وهو الشرط الأساسي لقيام السيرة الذاتية.

ومع تزايد اهتمام الأدباء بهذا الفن في السنوات الأخيرة، أصبحت السيرة الذاتية جنسا أدبيا قائما بذاته، لما تحمله من أبعاد فكرية ونفسية واجتماعية، إذ لا يكتفي الكاتب فيها بسرد الوقائع، بل يسعى أيضا إلى التعبير عن انفعالاته، وتبرير مواقفه، والدفاع عن قضاياه الفكرية والاجتماعية، وهو ما يمنح هذا الفن قيمة أدبية وإنسانية كبيرة.[4]

كما أن السيرة الذاتية تقوم على أحداث حقيقية عاشها صاحبها، وهذه الأحداث غالبا ما تحظى باهتمامه لأنها تركت أثرا عميقا في نفسه، مما يدفعه إلى الرغبة في سردها وتوثيقها.

---

[1] تهاني عبد الفتاح شاكر، السيرة الذاتية في الأدب العربي (فدوى طوقان، جبرا إبراهيم جبرا، وإحسان عباس نموذجا)، المؤسسة العربية للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2002، ص 09.

[2] عبد العزيز شرف، أدب السيرة الذاتية، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، مصر، 1992، ص 27.

[3] محمد بوعزة، تحليل النص السردي: تقنيات ومفاهيم، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم، الرباط – الجزائر، ط1، 1421هـ، ص 32.

[4] شعبان عبد الحكيم محمد، السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث: رؤية نقدية، دار العلم والإيمان للنشر، ط1، 2008، ص 10.

فحياة الإنسان، كما يقال، "تمر بفترات ركود لا حركة فيها ولا تأثير، ولا يستطيع كاتب السيرة أن يجعل منها مادة فنية صالحة للسرد، إذ إن كثرة هذه الفترات الخاملة تجعل حياة الشخص غير قابلة للتحول إلى سيرة ذاتية متماسكة وذات قيمة أدبية، حتى وإن كان هذا الشخص يتمتع بحضور اجتماعي مميز".[1]

إن كتابة السيرة الذاتية هي في الأصل فعل نابع من دوافع داخلية عميقة لدى الكاتب، وقد تكون وسيلة للتعبير عن التجربة الشخصية وما تحمله من آلام وانفعالات، أو متنفسا نفسيا للتخفيف من المعاناة، ومن هنا يمكن التساؤل:" أليست السيرة الذاتية، كما يدل عليها اسمها، هي سيرة يكتبها الإنسان عن نفسه؟ لذلك فهي تعد حالة خاصة من الكتابة السيرية".[2]

وقد أصبحت السيرة الذاتية متنفسا أدبيا وفنيا يعتمد عليه الكاتب لتحقيق أهداف متعددة، سواء من خلال الاعتراف بتجربة معينة، أو استرجاع أحداث الماضي، أو تقديم صورة ذاتية تعكس شخصيته الحقيقية، وفي هذا السياق يعرفها فيليب لوجون بأنها:" حكي استعادي نثري يقوم به شخص واقعي عن وجوده الخاص، مع التركيز على حياته الفردية وتاريخ شخصيته بشكل خاص"[3].

كما يرى علي شلق أن:" السيرة الذاتية نوع من الأدب الحميم الذي يرتبط ارتباطا وثيقا بالإنسان، أكثر من أي تجربة أدبية أخرى قد يعيشها أو يعانيها"[4].

أما يحيى عبد الدايم فيرى أن:" الترجمة الذاتية الفنية هي تلك التي يصوغها صاحبها في صورة مترابطة تقوم على الوحدة والانسجام في البناء والروح، بحيث تُقدَّم وفق أسلوب أدبي متكامل قادر على نقل محتوى وافر وشامل عن تاريخ صاحبه الشخصي بشكل موجز، لكنه

[1] إحسان عباس، فن السيرة، ص 76.

[2] فيليب لوجون، السيرة الذاتية (الميثاق والتاريخ)، تر: عمر حلي، المركز الثقافي العربي، ط1، 1994، ص 52.

[3] فيليب لوجون، المرجع السابق، ص 10.

[4] علي شلق، النثر العربي في نماذجه المتطورة لعصر النهضة والحديث، دار القلم، بيروت، ط1، 1974، ص 324.

غني بالتجارب والخبرات المتنوعة والخصبة. ويضيف أن هذا النوع من الكتابة يعتمد على جمال العرض، وحسن التقسيم، ووضوح الأسلوب، وعذوبة العبارات، إضافة إلى القدرة على إضفاء طابع أدبي حي على النص، من خلال بث الحركة والحياة في تصوير الوقائع والشخصيات، واستعمال الحوار، مع توظيف قدر بسيط من الخيال من أجل ربط أجزاء السرد وتماسكه"[1].

ظهر مصطلح السيرة الذاتية في إنجلترا في بداية القرن التاسع عشر، وقد استُعمل في معنيين مختلفين:

المعنى الأول: يرى بعض الباحثين أن السيرة الذاتية هي حياة شخص مكتوبة من داخله أو من قلبه، وهي بذلك تُعدّ شكلا من أشكال الاعتراف، على عكس المذكرات التي قد تسرد أحداثا خارجية لا يكون السارد طرفا مباشرا فيها.

المعنى الثاني: هو أن السيرة الذاتية تشمل كل نص يظهر فيه أن الكاتب يتحدث عن حياته أو مشاعره، مهما كان ميله الذاتي أو أسلوبه في العرض، وقد ذهب فابيروا في المعجم الكوني للأدب سنة 1876 إلى أن السيرة الذاتية عمل أدبي يمكن أن يتخذ شكل رواية أو قصيدة أو مقالة فلسفية، يقصد فيها المؤلف بشكل مباشر أو غير مباشر سرد حياته الشخصية أو عرض أفكاره وتجربته الذاتية. كما يشير فيليب لوجون إلى أن السيرة الذاتية هي كل عمل يجمع بين الشروط اللغوية والموضوعية المرتبطة بالكاتب والسارد في آن واحد، وهو ما يميزها عن الأنواع الأدبية الأخرى القريبة منها.[2]

وانطلاقا من هذه التعريفات، يتضح أن السيرة الذاتية فن أدبي يجمع بين قصة حياة الفرد وتاريخه وتجربته الشخصية، حيث يركز على شخصية بارزة أو تجربة إنسانية معينة للكشف

[1] يحيى عبد الدايم، الترجمة الذاتية في الأدب الحديث، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط1، 1994، ص 10.
[2] فيليب لوجون، مرجع سبق ذكره، ص 22.

عن أبعادها المختلفة بشكل مفصل، كما يصعب وضع تعريف دقيق ومحدد لهذا الفن، لأنه يتداخل مع أجناس أدبية أخرى، ويظهر في أشكال متعددة داخل الكتابة الأدبية. ومع ذلك، فإن معظم التعريفات تتفق على أن السيرة الذاتية هي بحث يستعرض فيه الكاتب حياته أو حياة شخصية مشهورة، مبرزا أهم محطات الإنجاز والتجربة منذ بدايتها.

1-2-السيرة الغيرية:

هي ذلك" الفن الأدبي الذي يقوم فيه الكاتب بتناول حياة شخص آخر، بهدف إبراز ملامح شخصيته والكشف عن جوانب القوة والضعف في حياته وتجربته، فهي لا تقتصر على سرد الأحداث فقط، بل تسعى إلى تقديم صورة متكاملة عن الشخصية المدروسة وما حققته من إنجازات أو ما مرت به من ظروف أثرت في مسارها".[1]

ويُقصد بها أيضا" الأدب الذي يكتبه بعض الأفراد عن شخصيات معروفة، سواء كانت قد عاشت في الماضي أو في الحاضر، حيث يعرض الكاتب تفاصيل حياة صاحب السيرة، ويتتبع مراحل تطوره وأعماله وأسباب شهرته ومكانته في المجتمع"[2].

وقد تناول عبد اللطيف الحديدي هذا النوع الأدبي في كتابه فن السيرة، موضحا "أن كاتب السيرة الغيرية يهتم بعرض حياة المشاهير من خلال سرد الوقائع والأحداث التي أسهمت في بروزهم، مع التركيز على إنجازاتهم وتأثيرهم في محيطهم، الأمر الذي يجعل من السيرة الغيرية موضوعا أدبيا وتاريخيا في آن واحد"[3].

---

[1] هاني العمدة، دراسات في كتب التراجم والسير، المؤسسة الصحفية الأردنية، ط1، د.م، 1981، ص 8.

[2] المرجع السابق، ص 9.

[3] عبد اللطيف الحديدي، فن السيرة الذاتية بين الذاتية والغيرية في ضوء النقد الحديث، دار السعادة للطباعة، القاهرة، ط1، 1996، ص 6.

إن السيرة الغيرية أقدم ظهورا من السيرة الذاتية، لأنها ارتبطت منذ القدم بالتاريخ والأدب، فمع قيام الحضارات كان الكُتّاب والمؤرخون يدوّنون حياة الملوك والسلاطين والقادة والمحاربين، ويسجلون ما شهدته مجتمعاتهم من حروب وتطورات وأحداث مختلفة، لذلك اندرجت تلك الكتابات ضمن مفهوم السيرة الغيرية باعتبارها توثيقا لحياة الآخرين وأعمالهم.

واستنادا إلى ما سبق، نستنتج أن السيرة الغيرية تعد شكلا أدبيا يقوم على كتابة حياة شخص بواسطة شخص آخر، حيث يحرص الكاتب على تقديم الشخصية بصورة واقعية، من خلال الحديث عن مراحل حياتها، وإنجازاتها، وأسلوب عيشها، مع إبراز أثرها في المجتمع أو في المجال الذي اشتهرت به.

2-مقارنة بين سيرة كاتب عربي وسيرة كاتب غربي (مثلا: العقاد وروسو):

2-1-سيرة كاتب عربي:

يعد عباس محمود العقاد من أبرز أعلام الأدب العربي الحديث، وقد تميزت سيرته الذاتية بأسلوب خاص يختلف عن كثير من معاصريه مثل أحمد أمين، إذ اعتمد العقاد في كتابة سيرته على منهج تحليلي تفسيري يقوم على إعمال العقل ومناقشة التجربة الذاتية من منظور فكري وفلسفي،[1] وهو الأسلوب نفسه الذي تعود عليه في مقالاته ودراساته النقدية.

وقد انعكس هذا الطابع التحليلي في سيرته التي لم تكن مجرد سرد للأحداث الشخصية، بل تحولت إلى مساحة للتأمل في الذات والحياة والفكر، حيث يربط الكاتب بين تجربته الفردية وبين القضايا العامة التي عاشها في مجتمعه، مما جعل سيرته أقرب إلى الدراسة الفكرية منها إلى السرد التقليدي.

[1] تهاني عبد الفتاح شاكر، مرجع سبق ذكره، ص 80.

كما أن العقاد قبل أن ينشر سيرته في شكلها النهائي في كتاب مستقل، كان قد قدم أجزاء منها في صورة مقالات أو نصوص متفرقة، وهو ما يدل على أن سيرته مرت بمراحل من البناء التدريجي والتشكيل الفكري قبل أن تستقر في صورتها النهائية،[1] وهذا الأسلوب يعكس طبيعة العقاد النقدية التي تميل إلى التحليل والتعمق في الأفكار أكثر من الاهتمام بالتفاصيل السردية البسيطة.

إن السيرة الذاتية عند العقاد ليست مجرد تسجيل لحياته، بل هي بناء فكري متكامل يبرز فيه وعيه بذاته وبالعالم من حوله، مما جعلها نموذجا متميزا في الأدب العربي الحديث.

2-2-سيرة كاتب غربي:

تعد السيرة الذاتية في الأدب الغربي من الأجناس الأدبية التي حظيت باهتمام كبير، خاصة في الأدب الفرنسي الذي برز فيه عمل جان جاك روسو الاعترافات، والذي يعد من أهم النصوص التأسيسية في فن السيرة الذاتية الحديثة.

فقد اعتمد روسو في هذا العمل على مبدأ الصراحة والاعتراف العلني بالتجربة الذاتية، حيث كشف عن حياته الداخلية بكل ما تحمله من تناقضات وصراعات نفسية وفكرية، مما جعل سيرته نموذجا مبكرا لفكرة "الذات المكشوفة"[2] في الكتابة الأدبية.

كما أن السيرة الذاتية في الأدب الفرنسي لم تتوقف عند روسو فقط، بل تواصلت مع كتاب آخرين مثل أندريه جيد في يومياته، وكذلك أناطول فرانس في بعض نصوصه السيرية، حيث اتجه هؤلاء إلى التعبير عن ذواتهم وتجاربهم الشخصية بأساليب متنوعة تجمع بين التأمل الفكري والتحليل النفسي.[3]

---

[1] المرجع نفسه، ص 80.

[2] يحي إبراهيم عبد الدايم، مرجع سبق ذكره، ص 19.

[3] المرجع نفسه، ص 19.

وفي السياق الأوروبي عامة، نجد أن هذا الفن امتد أيضا إلى الأدب الألماني من خلال أعمال مثل رسائل يوهان فولفغانغ فون غوته وكتابه الشعر والحقيقة، إضافة إلى السير الفكرية عند كارل ياسبرز، كما برز في الأدب الروسي من خلال اعترافات ليو تولستوي، ويوميات شخصيات فكرية أخرى مثل ماري بشكيرتسيف، إضافة إلى كتابات فلسفية مثل الحلم والواقع لـــ نيقولا بيرديائيف.[1]

وبذلك يتضح أن السيرة الذاتية في الأدب الغربي لم تكن مجرد سرد لحياة الأفراد، بل أصبحت وسيلة للتعبير عن الفكر والذات والبحث في أعماق الإنسان، مما جعلها فنا أدبيا وفلسفيا في آن واحد.

3- مساهمة السيرة في فهم البنية التاريخية للنص الأدبي:

السيرة الذاتية من الأجناس الأدبية التي تقوم على استحضار التجربة الإنسانية في إطارها الزمني والاجتماعي، حيث تجمع بين السرد الأدبي والتوثيق التاريخي، فتقدم حياة الفرد باعتبارها جزءا من سياق أوسع تتحرك داخله الأحداث والتحولات[2]، وهي بذلك لا تقتصر على نقل الوقائع الشخصية، بل تعيد تشكيلها وفق رؤية الكاتب، بما يسمح بفهم أعمق للعلاقة بين الفرد ومحيطه التاريخي.

ترتبط السيرة الذاتية بالتاريخ من خلال اعتمادها على استرجاع الماضي وإعادة ترتيبه داخل بناء سردي يقوم على الذاكرة، حيث يتداخل الزمن الشخصي مع الزمن العام، وتنعكس داخل النص ملامح المرحلة التاريخية التي عاشها الكاتب،[3] هذا التداخل يجعل من السيرة

[1] المرجع نفسه، ص 21.

[2] إحسان عباس، فن السيرة، دار صادر، بيروت، لبنان، د ط، د س، ص 88.

[3] المرجع نفسه، ص 103.

وثيقة تجمع بين التجربة الفردية والواقع الجماعي، وتكشف في الوقت نفسه عن تأثير السياق التاريخي في تشكيل الوعي والكتابة.

وتسهم السيرة في توضيح البنية التاريخية للنص الأدبي، لأنها تكشف الظروف التي أحاطت بإنتاجه، سواء كانت سياسية أو اجتماعية أو فكرية، فالنص الأدبي لا ينفصل عن بيئته، بل يتشكل داخلها ويتأثر بتحولاتها،[1] لذلك فإن العودة إلى السيرة تساعد على تفسير العديد من العناصر داخل النص، مثل المواقف والأفكار والرؤى، وربطها بالواقع الذي أنتجها.

كما تتميز السيرة الذاتية بقربها من الحياة اليومية مقارنة بالتاريخ العام، لأنها تركز على تفاصيل التجربة الفردية وما يرافقها من مشاعر وأحداث، مع الالتزام قدر الإمكان بالصدق في نقل الوقائع وترتيبها، حتى تبقى محافظة على قيمتها التوثيقية والأدبية.[2]

إن السيرة الذاتية مجالا يلتقي فيه الأدب بالتاريخ، وتتحول إلى وسيلة لفهم النص الأدبي من خلال سياقه التاريخي، وإدراك الطريقة التي تتشكل بها التجربة الإنسانية داخل الكتابة.

4-نماذج تطبيقية:

دراسة مقارنة بين ترجمة "الإلياذة" إلى العربية وتأثيرها في الشعر العربي الحديث:

أثارت ترجمة ملحمة الإلياذة إلى اللغة العربية اهتماما واسعا في الأوساط الأدبية والنقدية، لما تحمله هذه الملحمة من قيمة فنية وتاريخية كبيرة في الأدب الإنساني، إذ تعد من أقدم النصوص الملحمية التي صورت الصراع البشري بين الأبطال والقدر والحرب

[1] يحيى إبراهيم عبد الحليم، الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، دار النهضة العربية، القاهرة، مصر، ط1، 1994، ص 5.

[2] المرجع نفسه، ص 26.

والمصير، وقد شكل انتقال هذا النص إلى العربية عبر الترجمة حدثا ثقافيا مهما، لأنه لم يكن مجرد نقل لغوي، بل كان انتقالا لتجربة أدبية مختلفة في بنيتها ورؤيتها للعالم.

أسهمت هذه الترجمة في تعريف القارئ والشاعر العربي بالبناء الملحمي الذي يقوم على السرد الطويل وتعدد الشخصيات وتداخل الأحداث، وهو ما يختلف عن البناء الغنائي التقليدي في الشعر العربي،[1] هذا الاحتكاك الفني دفع عددا من الشعراء العرب في العصر الحديث إلى إعادة النظر في شكل القصيدة ووظيفتها، فظهرت محاولات لتوسيع أفق الشعر ليشمل السرد والدراما، بدل الاقتصار على التعبير الغنائي المكثف.

كما ساعدت الإلياذة في فتح مجال المقارنة بين البنية الشعرية العربية والبنية الملحمية الغربية، حيث بدأ الشعراء والنقاد يلاحظون اختلاف طريقة تصوير البطولة، فبينما تقوم الإلياذة على البطل الفردي المرتبط بالقدر والآلهة، يميل الشعر العربي إلى تصوير البطولة في إطار إنساني أو جماعي أو رمزي،[2] هذا الاختلاف ساهم في إثراء الرؤية النقدية للشعر العربي الحديث، ودفع بعض الشعراء إلى التجريب في الشكل والمضمون.

وقد انعكس هذا التأثير بشكل واضح في بعض التجارب الشعرية الحديثة التي حاولت إدخال العناصر السردية داخل النص الشعري، واستلهام روح الملحمة في بناء القصيدة الطويلة، مع توظيف الأسطورة والتاريخ والرمز،[3] كما ظهر اهتمام أكبر بالبعد الدرامي داخل الشعر، مما جعل النص الشعري أكثر انفتاحا على الحكاية والصراع الداخلي والخارجي.

---

[1] محمد عناني، مدخل إلى الأدب اليوناني القديم، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط1، 1994، ص 123.

[2] هوميروس، الإلياذة، ترجمة دريني خشبة، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط2، 1985، ص 47.

[3] نصر حامد أبو زيد، النص والسلطة والحقيقة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء / بيروت، ط4، دت، ص 32.

إن ترجمة الإلياذة شكلت نقطة تحول في الوعي الشعري العربي الحديث، لأنها ساهمت في توسيع مفهوم الشعر، وإعادة النظر في بنيته الفنية، وفتحت المجال أمام تداخل الأجناس الأدبية، خاصة بين الشعر والسرد، وهو ما أثر بشكل مباشر في تطور القصيدة العربية الحديثة.

تحليل كتاب "في الشعر الجاهلي" لطه حسين كمثال على التوظيف التاريخي في المقارنة:

يشكل كتاب في الشعر الجاهلي منعطفا مهما في الدراسات النقدية العربية الحديثة، لأنه لم يتعامل مع الشعر الجاهلي بوصفه نصا أدبيا فقط، بل أعاد قراءته في ضوء منهج تاريخي مقارن يقوم على الشك وإعادة فحص المصادر والروايات، وقد انطلق طه حسين من فكرة أساسية مفادها أن النص الأدبي لا يمكن فهمه بمعزل عن سياقه التاريخي والاجتماعي[1]، لذلك حاول ربط الشعر الجاهلي بالبيئة التي أنتجته، ومساءلة مدى صدقيته التاريخية.

اعتمد طه حسين في مشروعه النقدي على ما يسمى بالشك الديكارتي[2]، حيث دعا إلى عدم قبول أي رواية أو نص إلا بعد التثبت من صحته، وهو ما جعله يعيد النظر في التراث الشعري الجاهلي من زاوية تاريخية صارمة، هذا المنهج لم يكن منفصلا عن التأثيرات الفكرية التي تلقاها، خاصة من التيارات الاستشراقية، حيث يرى عدد من النقاد أن أطروحاته تقاطعت مع بعض آراء المستشرقين، وعلى رأسهم مرجليوث، خصوصا في ما يتعلق بإنكار أصالة بعض الشعر الجاهلي أو التشكيك في نسبته إلى العصر الذي ينسب إليه.[3]

---

[1] طه حسين، في الشعر الجاهلي، دار النهر للنشر والتوزيع، الدقي، مصر، ط2، 1996، ص 7.

[2] ساسي سالم الحاج، الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية، مركز دراسات العالم الإسلامي، مالطا، ط1، 1991، ص 142.

[3] عبد الرحمن بدوي، دراسات المستشرقين حول صحة الشعر العربي، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1979، ص 91، 113.

وتظهر المقارنة بين طه حسين وهؤلاء الباحثين في عدة نقاط أساسية، أهمها مسألة العلاقة بين الدين والشعر، حيث يرى أن القرآن يمثل مرآة أوثق للعصر الجاهلي من الشعر المنسوب إليه، بينما يلتقي هذا الطرح مع بعض التصورات الاستشراقية التي تشكك في البنية التاريخية للشعر الجاهلي،[1] كما تمتد المقارنة إلى اللغة، إذ يشكك في وحدة اللغة الشعرية الجاهلية، معتبرا أن هناك تباينا بين لهجات القبائل، وهو ما استند إليه أيضا بعض المستشرقين في إعادة قراءة النصوص القديمة.

يذهب بعض الدارسين العرب إلى أن طه حسين لم يكن مجرد ناقل لأفكار المستشرقين، بل أعاد صياغتها داخل مشروع نقدي عربي حديث، مستفيدا من أدوات المنهج التاريخي والتحليل العقلاني، حتى وإن أثار ذلك جدلا واسعا في الأوساط الفكرية والدينية، وقد أدى هذا الطرح إلى ردود فعل قوية وصلت إلى حد مصادرة الكتاب وإعادة نشره بعد تعديلات، مما يعكس حساسية الموضوع المرتبط بالتراث والهوية.

كما أن قيمة هذا الكتاب لا تكمن فقط في نتائجه، بل في كونه فتح بابا واسعا لإعادة التفكير في مناهج دراسة الأدب العربي القديم، حيث دعا إلى ضرورة قراءة التراث قراءة علمية قائمة على التمحيص التاريخي بدل التسليم المطلق بالموروث،[2] ومن هنا برزت أهمية البعد التاريخي في فهم النص الأدبي، حيث أصبح وثيقة يمكن إخضاعها للتحليل التاريخي والمقارنة بين مصادرها ورواياتها.

تتضح قيمة التوظيف التاريخي في الكتاب، لأنه جعل من التاريخ أداة لفهم الأدب، ومن المقارنة وسيلة لاختبار صحة النصوص ومصادرها، بين ما هو منقول وما هو منسوب، وبين ما هو واقعي وما هو متخيل، وبذلك أسهمت دراسة الشعر الجاهلي عند طه حسين في

[1] سيد بحراوي، البحث عن المنهج في النقد العربي الحديث، دار شرقيات، القاهرة، ط1، 1993، ص 40.

[2] ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، ط5، 1987، ص 379-380.

إعادة بناء الوعي النقدي العربي الحديث، وفتح المجال أمام مقاربة جديدة تجمع بين الأدب والتاريخ في إطار تحليلي مقارن.

مقارنة بين سيرة مي زيادة وسيرة فرجينيا وولف في تمثيل المرأة المثقفة:

إن المقارنة بين سيرة مي زيادة وسيرة فرجينيا وولف مدخلا مهما لفهم صورة المرأة المثقفة في السياقين العربي والغربي، خاصة من خلال ما تكشفه سيرتهما من وعي ذاتي وتجربة فكرية مرتبطة بالكتابة والمعاناة الاجتماعية والثقافية.

تمثل مي زيادة نموذجا للمرأة المثقفة في المشرق العربي خلال بدايات القرن العشرين، حيث عرفت بكتاباتها الأدبية ومقالاتها النقدية وصالونها الأدبي الذي جمع نخبة من المفكرين والأدباء،[1] وقد عكست سيرتها الذاتية غير المباشرة صورة امرأة مثقفة تسعى إلى إثبات ذاتها داخل مجتمع محافظ، إذ كانت الكتابة بالنسبة لها وسيلة للتعبير عن الوعي الفكري والدفاع عن مكانة المرأة في الحياة الثقافية.

أما فرجينيا وولف، فقد مثلت في السياق الغربي صوتا نسويا حداثيا بارزا، حيث ارتبطت تجربتها الفكرية بمشروع نقدي وأدبي يركز على الوعي الداخلي وتحرير الكتابة من القيود التقليدية، وقد انعكس ذلك في كتابها الشهير غرفة تخص المرء وحده، الذي يعد مرجعا أساسيا في الدفاع عن استقلالية المرأة الكاتبة[2].

وفي دراسة مقارنة حديثة، يشير شريف يونس في كتابه المرأة والكتابة إلى أن" تجربة مي زيادة تعكس مرحلة تأسيسية لوعي المرأة العربية بالكتابة، بينما تمثل فرجينيا وولف مرحلة نضج فكري في تمثيل الذات الأنثوية داخل الأدب الغربي"[3].

---

[1] أنور الجندي، الأدب النسوي العربي الحديث، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982، ص 115.

[2] ينظر: ليونارد وولف، سيرة فرجينيا وولف الفكرية، دار Penguin Books، لندن، 1967، ص 74.

[3] شريف يونس، المرأة والكتابة في الفكر العربي الحديث، دار الشروق، القاهرة، 2005، ص 201.

يتضح أن تمثيل المرأة المثقفة عند كل من مي زيادة وفرجينيا وولف يلتقي في مركزية الوعي الذاتي والكتابة كفعل مقاومة، لكنه يختلف من حيث السياق التاريخي ودرجة الحرية الفكرية والأدوات الفنية المستعملة، مما يجعل هذه المقارنة مدخلا مهما لفهم تطور صورة المرأة في الأدب الحديث عبر ثقافتين مختلفتين.

أولا: أوجه التشابه بين سيرة مي زيادة وفرجينيا وولف:

تتجلى أوجه التشابه بين السيرتين في النقاط التالية:[1]

-تمثل كل من مي زيادة وفرجينيا وولف نموذجا للمرأة المثقفة التي فرضت حضورها في فضاء أدبي يهيمن عليه الرجل.

-ارتبطت تجربتهما بالكتابة بوصفها وسيلة للتعبير عن الذات وبناء الوعي الفكري.

-تعكس سيرتهما صراعا داخليا بين الطموح الإبداعي والقيود الاجتماعية.

-ساهمتا في تطوير الوعي النسوي داخل بيئتين ثقافيتين مختلفتين.

-اتخذت الكتابة عندهما بعدا فكريا يتجاوز السرد الأدبي إلى طرح قضايا وجودية وفكرية.

-أثرت كل منهما في محيطها الأدبي من خلال إنتاجها الفكري وحضورها الثقافي.

-ارتبط اسمهما بصورة المرأة الكاتبة التي تبحث عن الاعتراف والهوية داخل المجتمع.

تكشف المقارنة أن مي زيادة وفرجينيا وولف تلتقيان في جوهر التجربة النسوية المثقفة، حيث تحولت الكتابة عندهما إلى وسيلة لبناء الذات ومقاومة التهميش الثقافي. غير أن هذا التشابه لا يلغي اختلاف السياق، بل يؤكد أن وعي المرأة بالكتابة يمكن أن يتشكل بأشكال متعددة وفق البيئة الاجتماعية والثقافية.

[1] محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار الثقافة، بيروت، لبنان، د ط، 1973، ص 234.

ثانيا: أوجه الاختلاف بين مي زيادة وفرجينيا وولف:

تتجلى أوجه الاختلاف بين السيرتين فيما يلي:[1]

-تنتمي مي زيادة إلى السياق العربي النهضوي، بينما تنتمي فرجينيا وولف إلى السياق الحداثي الغربي.

-اعتمدت مي زيادة على المقالات والرسائل والصالونات الأدبية، في حين ركزت وولف على الرواية الحديثة.

-خطاب مي زيادة يميل إلى الطابع العاطفي التأملي، بينما يغلب على وولف الطابع التحليلي النفسي.

-واجهت مي زيادة قيودا اجتماعية أكثر صرامة في المجتمع العربي مقارنة بحرية وولف النسبية في الغرب.

-حضور مي زيادة كان نخبويا مرتبطا بالمجالس الأدبية، بينما كانت وولف جزءا من حركة أدبية مؤسساتية.

-الكتابة عند مي زيادة ارتبطت بالدفاع عن مكانة المرأة ثقافيا، بينما تجاوزت وولف ذلك إلى تفكيك بنية السرد نفسها.

-اختلاف الأدوات الفنية بينهما؛ فمي تعتمد الأسلوب الخطابي المباشر، وولف تعتمد تيار الوعي والتجريب السردي.

توضح الفروق بين التجربتين أن صورة المرأة المثقفة ليست واحدة، بل تتحدد بمدى حرية المجتمع والأدوات الفنية المتاحة، فبينما واجهت مي زيادة تحديات اجتماعية جعلت

[1] سوزان ألين، الأدب النسوي: مقاربات نقدية، ترجمة: سعيد الغانمي، دار المدى، بغداد، العراق، ط1، 2003، ص 135.

كتابتها أقرب إلى التعبير الدفاعي والتأملي، استطاعت فرجينيا وولف تطوير مشروع حداثي قائم على التجريب وتفكيك البنية السردية.

خلاصة الفصل:

يخلص هذا الفصل إلى أن السيرة الذاتية والغيرية تشكلان أداة معرفية مهمة لفهم البنية التاريخية للنص الأدبي، لأنها لا تكتفي بسرد التجربة الفردية، بل تربطها بسياقها الزمني والاجتماعي والثقافي، مما يجعلها وسيلة لإضاءة الخلفيات التي يتشكل داخلها الإبداع الأدبي، وقد أظهرت النماذج التطبيقية أن قراءة النصوص لا تنفصل عن ظروف إنتاجها، سواء في تحليل في الشعر الجاهلي أو في تتبع أثر ترجمة الإلياذة أو في المقارنات السيرية، حيث يتبين أن التوظيف التاريخي يسهم في إعادة بناء الفهم النقدي للنصوص وربطها بواقعها، كما أكد الفصل أن السيرة تمثل حلقة وصل بين الفرد والمجتمع، وبين الذات والتاريخ، وأن تنوع أشكالها في الأدب العربي والغربي يعكس اختلاف الرؤى الثقافية في تمثيل التجربة الإنسانية، مما يجعلها مدخلا أساسيا لتحليل النص الأدبي باعتباره نتاجا تاريخيا وثقافيا متحركا.

خاتمة

في ختام هذه الورقة البحثية يتضح أن الاتجاه القومي التاريخي من أبرز الاتجاهات التي أسهمت في ترسيخ مكانة الأدب المقارن بوصفه مجالا لدراسة العلاقات الأدبية والثقافية في ضوء السياقات التاريخية والقومية التي نشأت فيها النصوص، وقد بينت هذه الدراسة أن فهم الأدب لا يكتمل بمعزل عن الظروف التاريخية والاجتماعية والثقافية المحيطة به، كما أكدت أن الترجمة والكتب المرجعية والسير الذاتية والغيرية لم تكن مجرد وسائل لنقل المعرفة أو حفظها، بل شكلت أدوات فاعلة في بناء الوعي الأدبي وتوجيه الدراسات المقارنة والكشف عن أوجه التأثير والتأثر بين الآداب المختلفة، الأمر الذي جعلها عناصر أساسية في تجسيد مبادئ الاتجاه القومي التاريخي وتعزيز حضوره داخل الحقل النقدي والأدبي.

وقد توصلت هذه الدراسة إلى مجموعة من النتائج نبرزها فيما يلي:

-تبين أن الاتجاه القومي التاريخي ينظر إلى الأدب باعتباره نتاجا مرتبطا بالهوية القومية والظروف التاريخية التي أحاطت بظهوره وتطوره.

-أثبتت الترجمة دورها المحوري في نقل التجارب الأدبية بين الأمم والشعوب، مما ساهم في توسيع آفاق التفاعل الثقافي والأدبي.

-كشفت الدراسة أن بعض الترجمات كان لها تأثير مباشر في تشكيل الوعي الأدبي القومي وإعادة قراءة التراث الإنساني من منظور محلي.

-تبين أن نجاح الترجمة في أداء دورها التاريخي مرتبط بقدرتها على تحقيق التوازن بين الأمانة للنص الأصلي ومراعاة الخصوصيات الثقافية للمجتمع المستقبل.

-أظهرت الكتب النقدية والتاريخية دورا أساسيا في توثيق الحركات الأدبية وتفسير تطورها عبر العصور.

-ساهمت أعمال عدد من النقاد والباحثين، أمثال طه حسين وغوستاف لانسون وإدوارد سعيد، في تعزيز البعد التاريخي داخل الدراسات الأدبية المقارنة.

-أكدت الدراسة أن الكتب المرجعية تمثل مصدرا مهما لبناء الذاكرة الأدبية وحفظ التراث الثقافي للأمم.

-أوضحت النتائج أن المقارنات الأدبية لا تقتصر على دراسة النصوص فقط، بل تمتد إلى تحليل السياقات الفكرية والتاريخية التي أنتجتها.

-تبين أن السير الذاتية والغيرية تعد وثائق أدبية وتاريخية تساعد على فهم حياة المبدعين وظروف إنتاجهم الأدبي.

-أظهرت المقارنة بين النماذج العربية والغربية وجود قواسم مشتركة في تمثيل التجربة الإنسانية رغم اختلاف البيئات والثقافات.

-كشفت الدراسة أن السيرة الأدبية تساهم في تفسير العديد من الجوانب الفنية والفكرية داخل النصوص الأدبية.

-أكدت النماذج التطبيقية المدروسة أن الترجمة والكتب والسير تشكل أدوات فعالة لفهم العلاقات التاريخية بين الآداب العالمية.

-أبرزت الدراسة أهمية الجمع بين المنهج التاريخي والمنهج المقارن في تحقيق قراءة أكثر عمقا وشمولية للظواهر الأدبية.

-توصلت الدراسة إلى أن الاتجاه القومي التاريخي ما يزال يحتفظ بأهميته في الدراسات الأدبية المعاصرة رغم ظهور مناهج نقدية حديثة ومتنوعة.

-بينت النتائج أن الأدب المقارن يظل مجالا خصبا للكشف عن أوجه التفاعل الحضاري والثقافي بين الأمم عبر مختلف المراحل التاريخية.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: الكتب :

-أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007.

-أنور الجندي، الأدب النسوي العربي الحديث، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982.

-أومبارو أورتادو ألبير، الترجمة ونظرياتها: مدخل إلى علم الترجمة، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2007.

-العقاد عباس محمود، التعريف بشكسبير، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط2، دت.

-إحسان عباس، فن السيرة، دار صادر، بيروت، لبنان، د ط، د س.

-إدوارد سعيد، الاستشراق: المفاهيم الغربية عن الشرق، ترجمة كمال أبو ديب، ط 2، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، 1981.

-إدوارد سعيد، الاستشراق: المعرفة، السلطة، الإنشاء، ترجمة: كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ط 6، 2003.

-جورج مونان، الترجمة والألسنية، تر: عبد الله صولة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1، 1987.

-داود سلوم، دراسات في الأدب المقارن والتطبيقي، بغداد، 1994.

-هوميروس، الإلياذة، ترجمة دريني خشبة، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط2، 1985.

-هاني العمدة، دراسات في كتب التراجم والسير، المؤسسة الصحفية الأردنية، ط1، د.م، 1981.

-هنري ريمي مارو، الأدب المقارن، ترجمة: محمد غنيمي هلال، دار نهضة مصر، القاهرة، 1963.

-فيليب لوجون، السيرة الذاتية (الميثاق والتاريخ)، تر: عمر حلي، المركز الثقافي العربي، ط1، 1994.

-محمد بوعزة، تحليل النص السردي: تقنيات ومفاهيم، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم، الرباط – الجزائر، ط1، 1421هـ.

-محمد عناني، مدخل إلى الأدب اليوناني القديم، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط1، 1994.

-محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار الثقافة، بيروت، لبنان، د ط، 1973.

-محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ط9، 2008.

-مجدي وهبة، دراسات في الأدب المقارن، ط1، دار المعارف، القاهرة، 1980.

-عبد الرحمن بدوي، دراسات المستشرقين حول صحة الشعر العربي، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1979.

-عبد العزيز شرف، أدب السيرة الذاتية، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، مصر، 1992.

-عبد اللطيف الحديدي، فن السيرة الذاتية بين الذاتية والغيرية في ضوء النقد الحديث، دار السعادة للطباعة، القاهرة، ط1، 1996.

قائمة المصادر والمراجع:

-علي شلق، النثر العربي في نماذجه المتطورة لعصر النهضة والحديث، دار القلم، بيروت، ط1، 1974.

-تهاني عبد الفتاح شاكر، السيرة الذاتية في الأدب العربي (فدوى طوقان، جبرا إبراهيم جبرا، وإحسان عباس نموذجًا)، المؤسسة العربية للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2002.

-رينيه إتيامبل، الأدب المقارن، ترجمة: محمد غنيمي هلال، دار الثقافة، القاهرة، 1971.

-ساسي سالم الحاج، الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية، مركز دراسات العالم الإسلامي، مالطا، ط1، 1991.

-سيد بحراوي، البحث عن المنهج في النقد العربي الحديث، دار شرقيات، القاهرة، ط1، 1993.

-سوزان ألين، الأدب النسوي: مقاربات نقدية، ترجمة: سعيد الغانمي، دار المدى، بغداد، العراق، ط1، 2003.

-سوزان باسنيت، الأدب المقارن: مقدمة نقدية، ترجمة: أميرة حسن نويرة، المجلس الأعلى للثقافة (المركز القومي للترجمة)، القاهرة، مصر، ط1، 1999.

-شعبان عبد الحكيم محمد، السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث: رؤية نقدية، دار العلم والإيمان للنشر، ط1، 2008.

-شريف يونس، المرأة والكتابة في الفكر العربي الحديث، دار الشروق، القاهرة، 2005.

-شكري عياد، مقدمة في الأدب المقارن، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1992.

-صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1998.

-طه حسين، في الأدب الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، ط4، 1966.

-طه حسين، في الشعر الجاهلي، دار النهر للنشر والتوزيع، الدقي، مصر، ط2، 1996.

-غوستاف لانسون، تاريخ الأدب الفرنسي، ترجمة: عادل زعيتر، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1956.

-ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، ط5، 1987.

-نصر حامد أبو زيد، النص والسلطة والحقيقة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء/بيروت، ط4، د.ت.

-هنري ريمون، الأدب المقارن، ترجمة: سعاد خليل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1992.

-يحيى إبراهيم عبد الحليم، الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، دار النهضة العربية، القاهرة، مصر، ط1، 1994.

-يحيى عبد الدايم، الترجمة الذاتية في الأدب الحديث، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط1، 1994.

-ليونارد وولف، سيرة فرجينيا وولف الفكرية، دار Penguin Books، لندن، 1967.

ثانيا: المقالات

-مجلة Babel، مجلة الترجمة، المجلد الخامس، العدد الثالث، العدد 1، 1997.

ثالثا: المراجع الأجنبية :

-Etkind (Efim), Un art en crise, ssai de poétique de traduction poétique, Traduit par W. Troubetzkoy, avec la collaboration de l'auteur, Lausanne, L'Age d'Homm , 1982.

-Mounin (Georges), Linguistique et Traduction, Dessart et Mardaga. Bruxelles, 1976.

فهرس المحتويات:

شكر وتقدير: .....

إهداء:.....

مقدمة: .....أ-ب.

مدخل: نشأة الأدب المقارن.....3

1ــ نشأة الأدب المقارن:.....3

2ــ رواد الأدب المقارن:.....11

3.المدرسة الفرنسية:.....15

الفصل الأول: الترجمة والهوية القومية في الأدب المقارن**.....22**

1-دور الترجمة في نقل التجارب الأدبية التاريخية.....**24**

2-أمثلة لترجمات أثّرت في تشكيل الاتجاه القومي (مثل ترجمة أعمال شكسبير، أو الملاحم اليونانية).....**27**

3-الترجمة بين الأمانة التاريخية والتأويل الثقافي.....**32**

الفصل الثاني: الكتب المرجعية وبناء الذاكرة القومية والتاريخية.....36

1-مساهمة الكتب النقدية والتاريخية في ترسيخ الاتجاه القومي.....36

2-دراسة نماذج مثل كتب طه حسين، غوستاف لانسون، أو إدوارد سعيد.....37

3-أثر هذه الكتب في تشكيل المقارنات الأدبية عبر العصور.....39

الفصل الثالث: السير الذاتية والغيرية كمرآة تاريخية.....43

1-تحليل السير بوصفها وثائق أدبية تُضيء السياق التاريخي للنصوص.....43

2-مقارنة بين سيرة كاتب عربي وسيرة كاتب غربي (مثلا: العقاد وروسو).....48

3-مساهمة السيرة في فهم البنية التاريخية للنص الأدبي.....50

4-نماذج تطبيقية.....51

دراسة مقارنة بين ترجمة "الإلياذة" إلى العربية وتأثيرها في الشعر العربي الحديث....51

تحليل كتاب "في الشعر الجاهلي" لطه حسين كمثال على التوظيف التاريخي في المقارنة.....53

مقارنة بين سيرة مي زيادة وسيرة فرجينيا وولف في تمثيل المرأة المثقفة.....55

خاتمة: 61

قائمة المصادر والمراجع: 65

ملخص الدراسة:.....72

ملخص الدراسة:

تناولت هذه الدراسة موضوع "تمظهرات الاتجاه القومي التاريخي في الأدب المقارن: مقاربة في فاعلية الترجمة والكتب والسير"، وهدفت إلى إبراز دور الترجمة والكتب المرجعية والسير الذاتية والغيرية في تجسيد مبادئ الاتجاه القومي التاريخي داخل الدراسات الأدبية المقارنة. واعتمدت الدراسة على المنهج التاريخي والمنهج المقارن لتحليل نماذج مختارة من التراثين العربي والغربي، وقد توصلت إلى أن هذه الوسائط أسهمت في نقل التجارب الأدبية، وبناء الذاكرة الثقافية، وتفسير النصوص في ضوء سياقاتها التاريخية، مما عزز فهم العلاقات الأدبية بين الأمم والثقافات المختلفة.

الكلمات المفتاحية: الاتجاه القومي التاريخي، الأدب المقارن، الترجمة، الكتب المرجعية، السير الذاتية.

Abstract:

This study addressed the topic of “Manifestations of the Historical-National Trend in Comparative Literature: An Approach to the Effectiveness of Translation, Books, and Biographies.” It aimed to highlight the role of translation, reference books, and autobiographical and biographical writings in embodying the principles of the historical-national trend within comparative literary studies. The study relied on both the historical and comparative approaches to analyze selected Arab and Western models. It concluded that these mediating tools contributed to the transmission of literary experiences, the construction of cultural memory, and the interpretation of literary texts within their historical contexts, thereby enhancing the understanding of literary relationships among nations and cultures.

Keywords: Historical-National Trend, Comparative Literature, Translation, Reference Books, Biographies.